روايات عبير

اليزابيث أولدفيلد

النار الفجائية

www.elromancia.com

مرمورية

مكتبة مدبولي الصغير

٢٤١

روايات عبير

HARLEOUIN - "ABIR" - No. 241

النار الفجائية

عندما وصلت آشيلى قمة التل أوقفت الجواد بالعربة . كانت عيناها لامعتين خلف النظارة الداكنة وهى تبتسم . لا يهم عدد مرات الرحلة التى قامت بها حيث المشهد البعيد من هذا الارتفاع هو مشهد خلاب . هناك بأسفل التل يوجد الوادى الأخضر المتقابل اللون الزبرجدى للمحيط الأطلنطى يحتضن قرية صيد صغيرة وهى قرية برايا كارفوبيرو . المنازل الجاثمة تلمع فى ضوء شمس أغسطس مع أسقفها من القرميد الأزرق الصينى . شاهدت البلكونات التى نتاثر حولها أزهار الجركندة الاستوائية بلونها الأزرق الصينى مع نفحات النسيم ، وأقفاص العصافير المعلقة تستمتع بالهواء الذى يداعب ريشها . ابتسمت آشيلى ابتسامة عريضة .

لبنان	٢٢٥٠ ل ل	الكويت	١,٥٠٠ د	اليمن	٦,٤٠ ر	U.K. 2,40	
سورية	٤٠ ل س	الامارات	١٩,٢٠ د	تونس	٢,٤٠ د	France F 16	
الأردن	١,٥ ف	البحرين	٢,٤٠ د	ليبيا	١,٦٠ د	Greece Drs 320	
العراق	١,٢ ف	قطر	١٩,٢٠ ر	المغرب	٨ د	Cyprus P 2,40	
السعودية	١٠ ريال	عمان	٢,٤٠ ر	مصر	٣٠٠ ق		

الفصل الأول

عندما وصلت آشيلى قمة التل أوقفت الجواد بالعربة . كانت عيناها لامعتين خلف النظارة الداكنة وهى تبتسم . لا يهم عدد مرات الرحلة التى قامت بها حيث المشهد البعيد من هذا الارتفاع هو مشهد خلاب . هناك بأسفل التل يوجد الوادى الأخضر المتقابل اللون الزبرجدى للمحيط الأطلنطى يحتضن قرية صيد صغيرة وهى قرية برايا كارفوبيرو . المنازل الجاثمة تلمع فى ضوء شمس أغسطس مع أسقفها من القرميد الأزرق الصينى . شاهدت البلكونات التى تناثر حولها أزهار الجركندة الاستوائية بلونها الأزرق الصينى مع نفحات النسيم ، وأقفاص العصافير المعلقة تستمتع بالهواء الذى يداعب ريشها . ابتسمت آشيلى ابتسامة عريضة .

إن القرار الذى إتخذته أشيلى منذ ستة أشهر لتبتعد عن إنجلترا وتتحرك ناحية الغرب ربما لم يكن بقرار سهل إلاّ أنه كان صائبا .

أطلق الطفل الذى بالعربة صرخة فرح فجأة .

نطق : « سيارات » وهو يشير باصبعه تجاه سفح التل حيث يلتقى الممر الضيق مع شارع القرية على شكل حرف « T » .

قالت آشيلى بمرح وسخرية : « أعداد وفيرة من السيارات» لأن الشكل «T» مكتظ بالمركبات غير المتحركة . « حركة المرورن متوقفة »

ابتسم إبنها من تحت قبعته القطنية البيضاء لتقية الشمس مكررا : « حركة المرور » . كان توماس مجنون سيارات حيث أخذت تفكر وهى تنظر إليه بحنان ،

لم يذهب إلى أى مكان إلاّ ويأخذ معه سيارة لعبة . هل هذه الرغبة فى أى شىء على أربع عجلات قد ورثها عن أبيه ؟ وجدت آشيلى نفسها تتساءل . وقطبت جبينها . إن مثل تلك الأفكار دائما ماتقلقها وهى ترفض أن تفسد صباح يوم صيفى لا تشوبه شائبة وذلك بالتفكير فى الأمر الآن . رفعت نظارتها إلى أعلى وشعرها كذلك وبدأت السير ثانية .

ولو أن هبوطها استغرق العديد من الدقائق إلاّ أن صف المركبات عند السفح ظل ساكنا . إن شوارع القريه لم يتم تجهيزها مع أخذ عدد السيارات المتزايدة فى الإعتبار ، أخذت آشيلى تفكر فى هذا أثناء سيرها ، إذا تجاوزنا عن ذكر سيارة البيرة وخلاط الأسمنت وحافلة السائحين . القرية فى شهور قمة الصيف تكون مزدحمة للغاية عندما يأتى إليها الذين يريدون قضاء الأجازات بالعشرات فى سياراتهم المستأجرة . فما المشكلة اليوم ؟ تساءلت آشيلى عندما بدأت أصوات نفير السيارات تدوى .

عندما وصلت آشيلى إلى نقطة ملتقى الطرق إنحرفت يمينا واتجهت إلى الميدان حيث يتجمع الناس . وعندما التفتت شاهدت عربتين يجرهما حمارين تصادما والطريق مكسو بأوانٍ من الألومنيوم كغلايات الشاى والمغرفات والطاسات المتناثرة من إحدى العربتين . والأمر كل ما يحتاجه هو إعادة تجميع البضاعة وحاول السائحون القيام بتجميع الأوانى المتناثرة بعد أن أن استغرق سائق العربتين وقتا فى المحادلة . كان السائقان مسترخيين ينفثان دخان السجاير دون أن يهتما بما أحدثاه فى القرية من توقف فى حركة المرور ، ولا صيحات الاستهجان المتصاعدة تدريجيا .

آشيلى راقبت المشهد لمدة دقيقة أو دقيقتين وكانت مسرورة من مشاهدة مظهرعدم التدخل البرتغالى ، ثم رحلت للبدء فى مشترواتها . اتجهت إلى السوبر ماركت عندما لاح لها رجل شعره يشبه الكتان من بين مجموعةمن المتفرجين على الجانب الآخر من الميدان .

قالت إلى توماس : « إن ليف آتٍ » وكان الرجل متجها إليهما .

وأضافت : « أدع بالأمل أن يكون لديه أمر آخر بالنسبة لى »

ليف هار الدسين ، الدانماركى الطموح ، جذبه الغرب بإمكانياته التجارية وفرصة ألعاب الماء الرياضية وهو الآن صاحب شركة بناء مطابخ ناجحة . حيث إنه يتطلع دائما إلى الأفكار التى ربما تدعم تجارته حتى تسمح لآشلى لأن تبدأ عملها . إن الرسومات التى قامت بها لها قوة معبرة كبيرة فى تصميم المطابخ ، وهذا ما أخبرها به ، إن أسلوبها راق للزبون الذى يميز الأشياء . وثبتت صحة نبوءته ، ووصلت نسبتها فى العمل التجارى معه إلى ثلاثين بالمائة من دخلها . والدخل شىء هام . . وهو الآن يدق الباب .

أفصح ليف بعد تبادل التحيات معها عن أن: سُنيورا روتشا ، زوجة المحامى العام ، وقّعت أمس عقدا لأجل مطبخ لوكس . التفاصيل النهائية سيتم الاتفاق عليها ، وأخذت عينات عادية من عملك ، ويبدو أنها تريد إدخال الأشكال وربما الإفريز المزين بالنقوش أيضا » .

آشلى : « أشكرك » .

رد ليف : « أشكرك » وأضاف : « أننى أستطيع تقديم رسم خاص ، قرميدمرسوم باليد مما يجعل مطبخى غير عادى وساعدينى لأسوقهم . نحن نكون فريقا جيدا . ويمكننا أن نكون فريقا أفضل لو اعطيتينى نصف فرصة » .

ليف هارالدسين إضافة إلى انجذابه إلى الغرب فإنه منجذب إلى آشيلى حيث بدأ مع مرور الشهور أن يجعل هذا الإنجذاب واضحاً بصورة متزايدة . الشاب الدانماركى بعينيه الزرقاوتين الضاربتين فى الزرقة وشعره الناعم الأشقر تدعو الكثير من الفتيات بأن تصل إليه بينما آشيلى ممتنة بأنه مجرد صديق وشريك عمل ، ولم يكن لديها ميل لأن تتعمق العلاقة بينهما إلى أكثر من هذا . والصداقة الرومانسية لم تتضح فى جدول أعمالها .

ـ « نعم » حيث وافقت آشيلى ، وكانت مرتدية قميص أحمر قرنفلى وبنطلون جينز .

ـ « اتفقنا » ولف أصابعه حول خصرها ، وجذبها بالقرب منه .

ضغطت آشيلى على أسنانها واعترضت على مافعله . لكنها لم ترد الإساءة إليه .

ـ وقال ليف وهو ينظر إلى توماس الذى يشاهد ما يحدث فى الميدان :

« حيث إن والده قد قتل منذ عامين ومات ميتة مأساوية فقد حان الوقت لأن تطرحى هذا وموت سايمون من وراء ظهرك » .

ـ غمغمت آشيلى قائلة : « يجب ذلك » .

ـ قال : « إنها جريمة بالنسبة لإمرأة شابة جميلة أن تعيش بمفردها . أنت لديك إحتياجات ينبغى الوفاء بها و . . . »

تنحت آشيلى بهذا التعليق بغية تغيير الموضوع وذلك بفضل اهتمام الدانماركى بنجاحه التجارى ، مما جعله يومىء برأسه ويتلو صفحتين من عقد التوريد . وكاد أن يهم بقراءة الصفحة الثالثة حينما أطلق توماس صيحة فجأة .

وقال الطفل : «سيارة» صارخا طلباً لأن تنتبه له .

حملقت آشيلى لترى العربتين بالحمارين قد تركتا وبدأت حركة المرور فى الإنسياب . وبدأ صف السيارات يتجه إلى طريق الغار سيكو وهو ساحل فى أطراف القرية بينما كانت المركبات الأخرى تتبع طريق الإتجاه الواحد من وإلى الميدان . السيارة التى جذبت إنتباه الولد الصغير هى سيارة بى . إم . دبليو ـ وهى سيارة باهظة الثمن عن باقى السيارات الأخرى الموجودة . وكانت منتظرة فى أحد أركان الميدان متأهبة للدخول .

أكد توماس : « سيارة ضخمة » .

وافقت آشيلى قائلة : «ضخمة جداً » ومرت السيارة أمامهم ، وانطلقت بسرعة . وجحظت عينا آشيلى ، وتجمدت حيث هبطت عليها الذكريات كالحجارة . « لا يمكن أن يكون » كان صوتا هاتفا بداخلها يحتج بعنف . بينما صوت آخر يقول لها داخلها « إنه هو » . وحملقتها ثبتت على ظل رأس السائق حتى إنحرفت السيارة واختفت عن النظر .

أمسكت آشيلى بيديها المرتعشتين بإحكام على مقود العربة بالحصان . هل فيتور داركوس هنا ؟ كان قريباً جداً وكادت أن تلمسه . قريباً لدرجة أنه لو نظر جانباً لكان من المؤكد أن آراها واقفة مع توماس . وهبت عاصفة فى رأسها بالرغم من أن عامين مضيا منذ ذلك اليوم الكابوس الذى فيه تصادم سايمون فى

استراليا ، وكان هذا قدرها أن تلتقى ثانية بالبرتغالى الطويل عريض المنكبين . كان سايمون مع زميله فى الفريق . لكنها لم تكن تريد أن تواجهه الآن ، وهذا ما فكرت فيه الآن بصراحة . ليس الآن . ربما يتم اتهامها بالجبن ، إلاّ أنها لم تكن مستعدة وغير مؤهلة حيال ذلك . وهى تريد لقاءة بناء على دعوة منها إلى جانب ذلك ، ويكون فى المكان الذى تختاره وبشروطها هى . الأمر الضرورى بالنسبة لها أن تجمع كل ميزة ممكنة مهما كبرت أوصغرت .

قال ليف : « عملى التجارى هنا وإنى باقٍ . خلافا لآخر . هل تعرفين أن ذلك الشاب ، على سبيل المثال ، الذى اشترى كل الأرض التى حولك قد أصيب بالإفلاس؟ » .

قالت مندهشة : « يا للأسف » .

قال : « أشهر إفلاسه » .

قالت : « هل أنت متأكد؟ » وهى تحاول أن تستعيد فكرها فى الوقت الحاضر.

وأضافت : لم يقترب أحد من هنا لشهور . جاء فريق من الرجال الأسبوع الماضى وأمضى أسبوعاً يطوفون ويدرسون ، لذا إفترضت أن العمل على وشك البدء فيه .

تسكن أشيلى فيما يشبه المنزل الريفى على بعد ميلين خارج برايا دوكارفويرو. والمبنى من طابق واحد من الحجر الرمادى وهو فى منتصف الحقول حيث ينمو العنب وأشجار التين بوفرة وصار الآن مغطى بزهور بريه لإهماله . كان المكان مهجورا وأحياناً كانت أشيلى تشعر بأنها مكشوفة معرضة للهجوم ، وعندما وصل بنّاء من الوطنيين وأخذ الأرض حدث لها سرور . فسيقوم ببناء المنازل ويكون لها جيران وسيستطيع توماس اللعب مع أطفالهم . سرعان ما اكتشفت أن خطط الرجل أكثر من غريبة . مجمع حمامات سباحة وشلالات مرتفعة سيتم إقامتها على ثلاثة جوانب من منزلها ، مع موقف للسيارات فى الأمام . هرعت آشيلى إلى مكتب تخطيط المنطقة للإحتجاج إلاّ أن الرد هوالأسف فلقد تأخرت وقد تم الحصول على الإذن بذلك .

أجاب ليف : « أنا إنسان عملى . لم تذكر أسماء لاكتنى فهمت أن شركة بناء عالمية اشترت المجمع التجارى ، لذا فإن المجمع المائى هو طفلهم . أتصور أنهم متلهفون للبدء فى العمل بأسرع ما يمكن بهدف أن يكون جاهزا الموسم القادم ويمكنك التأكد من مصادرهم ».

إهتز تركيز آشيلى وعادت أفكارها إلى الرجل الذى كان فى السيارة . أين فيتور داركوس الآن؟ تساءلت . يسرع بالخروج من القرية فإنه لن يعود ـ أم يوقف سيارته فى ركن من الأركان ؟ ألم يعاود الظهور ثانية ، أليس كذلك ؟ لا ، لا. فهى متأكدة من أنه لم يرها .

وأضاف ليف : « لذا أخشى أن الشىء الوحيد الذى يمكنك عمله هو أن تقطبى جبينك وتتحملى ذلك ».

آشيلى : « أنا . . . . . أظن ذلك»

ليف : « هل تشعرين بأنك على ما يرام ؟ تبدين شاحبة قليلاً » .

قالت وهى تبتسم : «أنا بخير . الوقت يمر وأنا يجب أن أذهب . أتطلع أن أسمع من سنيورا روتشا ماقررته . إلى اللقاء . » وانصرفت .

الأهالى وجالية المغتربين سعداء بصداقة الشقراء الجميلة الوافدة وإبنها الصغير ، لأن آشيلى وقتما تصل إلى القرية تمضى وقتاً لا بأس به فى الحديث معهم . لكنها اليوم غير ذلك . لأن استجابتها المعتادة لهم فاترة ، وكان كل ما ركزت عليه هو فيتور داركوس . إن صدمة رؤيته ثانية ـ وفى برايا كارفويرو ! فكان شيئاً لا يتم التوقع به أبداً ، وهو ظرف ملأها بالذعر . عندما دخلت السوبرماركت إشترت أفخاذ الدجاج من الجزار الدانماركى ، وتزاحمت الأسئلة فى رأسها . ماذا كان رد فعل فيتور لو كان قد رآها ؟ وماذا كان قوله لها ؟ اخترقت طعنات التذكر قلبها وأجفلت . هل كان يحاول الإدعاءات المرة ويكرر إتهامها اللعين الذى قام به فى وقت موت سايمون ؟

إهدئى يا فتاة ، وقالت لنفسها ولتفكرى فى ذلك ثانية ، وعندما تأكدت أن مشترواتها فى السلة فى العربة ، بدأت العودة فى الصعود إلى المرج . هل أنت متأكدة مائة بالمائة أن الرجل الذى بالعربة كان فعلاً فيتور داكروس؟ أيمكنك

القسم أنه هو ؟ كان كل ما لديها هو مجرد لمحة المنظر الجانبى فى السيارة التى سارت بسرعة مما جعلها ترى خلف رأس الرجل حينما أسرعت السيارة بسرعة أكبر ، وماذا كان أساس ذلك التحديد ؟ ما من شىء . كل واحد له أخطاء واليوم هى أخطأت . خدعتها عيناها وكان خيالاً جامحاً . كانت مراوغتها الذهنية لها قفزاتها إلى نتيجة غريزية ، لكنها كانت نتيجة خاطئة ، البرتغال كانت مليئة برجال ملامحهم للكبرياء قوية وعلى رؤوسهم شعر كثيف ، وكان السائق الوحيد غريبا . شخص لا تعرفه . شخص ليس له معلومات فى ماضيها وبدون أى قوة لتدمير مستقبلها .

إرتفع المزاج النفسى لآشيلى . وابتسمت . ورأت أن ألمها لم يكن ضروريا وأحمقا . ولم يكن فيتور داركوس لديه سبب ، على وجه العموم ، لزيارة نهاية الطريق ويخرج بسرعة من قرية برايا دوكار فويرو . . . . هل هو ؟

عندماعادت وابنها إلى المنزل الريفى كان الوقت هو وقت الغذاء . فأكلت البيض مع توماس فى التراس الذى تظلله أوراق الكرم، ثم تابعت روتينها المعتاد، ثم وضعت الولد الصغير ليأخذ غفوة من النوم. فكرت فى أن تغير ملابسها وتهم بالعمل فى مدة ساعة الراحة لتكون ساعة مريحة .

عند أحد جوانب المنزل هناك مبنى أبيض منخفض كان يستخدم اسطبل أساساً ثم جراج بعد تنظيفه ، وقد استخدمته آشيلى كاستوديو حيث تقوم بتصميم القرميد وترسمة وتحرقه فى أتون صغير ، وتقوم بعرضها فى هذا المبنى الصغير . العمل الذى كان بانتظارها عبارة عن مشاهد الغروب ـ قوارب الصيد ميناء السفن ، بساتين الترتغال ، وصف منازل القرية ـ المتفق عليها أن تكون فى ردهة فندق قريب ، والآن هى تقوم بخلط الألوان .

سمعت آشيلى بعد خمس عشرة دقيقة صوت سيارة تقف أمام المنزل جالت برأسها ناحية الباب المفتوح . هل يمكن أن يكون ليف ، وقد جاء للاخطار بأن مطبخ روتشا سيتضمن قرميدها ويسأل عما إذا كان ممكناً أن تتشاور مع زوجة المحامى العام ؟

رتبت آشيلى رفوف العرض بسرعة واستمرت فى الرسم ، لكنه ما من أحد

ظهر . ثم تنهدت . تعلق آشيل يافطة بالخارج أنهذا هومحل لايخفق فى رؤيتها سوى ضعيف النظر . وضعت فرشتها وخرجت فى حرارة بعد الظهر . رفعت يدها لتظلل عينيها ونظرت حولها . ما من أحد تراه . وما من صوت حفيف الأشجار.

كان هناك شيء من الخوف . كانت تترك الباب الخلفى مفتوحاً قليلاً كالمعتاد فما من أحد يمكنه الوصول ويدخل منزلها؟ هل ربما يسلبون حاجياتها ؟ هل هم إكتشفوا نوم الطفل ؟ إمتلأقلبها بالهاجس وبكل غرائز الأمومة التى فى إنذار للغاية ، مما جعل آشيل تقفز للأمام ، تريد الوصول إلى توماس . يجب طرد الدخيل .

جرت بأقصى سرعة وكانت فى منتصف المسافة إلى التراس عندما ظهر شكل شخص حول إحدى زوايا المنزل . توقفت آشيل عن الجرى فى ذهول . لقد كان الشكل رجلاً طويلاً بأنف معقوف وشعر أسود كثيف . يرتدى بدلة رمادية وقميصاً أبيض اللون وربطة عنق حريرية . وقد توقف الرجل عندما توقفت .

شعرت آشيل بألم . وحاولت أن تقنع نفسها بأن تحديدها للشخص كان خاطئاً وأنها كانت ضحية التفكير . عرفت أن هناك سبباً قهرى ليزور فيتور داركوس برايا دوكارفوبيرو وإمكانية تخطيط استراتيجية ، لكنه كيف اكتشف مكانها ؟ لماذا ، بعد سنتين يظهر على نحوغير متوقع ؟ والآن أدرك الحقيقة ، فماذاينوى القيام بعمله حيالها ؟ مهما كانت محاولته تجاهها هذه المرة فلن تطاطىء رأسها معقودة اللسان . لن يتم خداعها . عندما تقدم زائرها خطوتين لينظر إليها عن قرب فهى فى حاجة لأن تستجمع شجاعتها لا أن تتراجع للخلف .

همس : « آشيل» .

زادت ضربات قلبها . واقنعت نفسها بأن هذا التأثير الواقع هو الذى كان تأثير فيتور داركوس عليها من قبل ، مما زاد من الذاكرة والخيال . ذلك الطول الفارع بالعضلات والعظام ، سائق سيارة السباق السابق ، هو الحاضر بفخامته ، الذى إحتقر ذعرها ، يطلق إحساسا يسرى خلالها .

قالت : « مساء الخير » وهى تتلعثم .

مما لاشك فيه أن صواريخه الشفهية معدة بالفعل ، لكنها يتوجب عليها إبطالها بأن تنقض أولا وتثبت أن المرأة التى يواجهها الآن هى إمرأة ذات عزيمة ، إمرأة مستعدة للقتال ، إمرأة خصم عنيد فى أى معركة .

سألها فيتور : « ماذا تفعلين هنا ؟ ماذا تفعلين فى البرتغال ؟ كيف وصلت إلى برايا دوكر فوبيرو ؟» .

نظرت آشيل إليه وهى مرتبكة ، ثم قالت إنها مندهشة من رؤيته بقدر إندهاشه من رؤيتها . فيتور لم يعرف الحقيقة . إنه لم يبحث عن عنوانها . إنه لم يتعقبها . أيًا كان سبب وجوده هنا فلا دخل لها بذلك ! ومن ثم فلا حاجة لها الآن تثمن هجوماً والأمر لا يتطلب القتال . كان كل ما عليها عمله هو أن تستجمع تماسكها وتقدم بضع كلمات مؤدبة . . . وتتخلص منه بأسرع ما يمكن.

قالت : «هذا منزلى» .

قال وهو يرفع حاجبيه أعلى النظارة : « منزلك ؟ أتمتلكينه ؟ أتذكر أنك أخبرتينى ذات مرة عن مدى الوقت الذى أمضيتيه فى الغرب عندما كنت صغيرة. لكننى لم تكن لدى فكرة عن المنطقة التى أتيت إليها » .

قالت : « المكان هنا . وكان المنزل يخص جدى الذى ترك والدى يستخدمانه لقضاء الأجازة . لكنه مات الشتاء الماضى وتركه لى . لسوء الحظ ، صحته المتدهورة كانت تجعله لا يستطيع زيارة المكان فى السنوات الأخيرة بالإضافة إلى أن وأهلى يمضون الأجازات فى مكان آخر ، لذا صار المنزل مهجوراً . وقد فعلت ما أستطيع لأجعله مريحا ، لكنه من بين ما يحتاج هوحمام حديث وسقف جديد وتغيير كل النوافذ . بمجرد أن يكون النقد متاحاً سأقوم بذلك . فأنا أعيش هنا »

فيتور : « لكنك تختلفين عن جدك ، فأنت تعيشين هنا بصفة دائمة » .

آشيل : « هذا صحيح . أنا هنا منذ ستة شهور » .

قال : « تبيعين القرميد المرسوم باليد » .

لماذا ؟ تساءلت آشيل . وما مغزى الإهتمام بنظام حياتها الحالى بالنسبة له ؟

ردت آشيل : « نعم أبيع القرميد المرسوم باليد » .

قال : « لابد وأن ذلك مختلف جدا عن السفر حول الكرة الأرضية كمديرة تصميم لإحدى شركات الديكور البريطانية المتقدمة » .

قالت: « وهو كذلك ، وأنا استمتع بإدارة عملى الخاص . ربما لم آخذ وضعى أو أتلقى راتبا شهريا ، لكن تجارتى تنموتماما من خلال جهودى مما يعد ضربا من ضروب المتعة . وتجارتى تنمو بسرعة . إنى أعمل منذ أربعة شهور ومع ذلك الناس بدأت تبحث عنى بالفعل . واتصلت بى امرأة منذ بضعة أيام من بعيد جداً مثل . . . ، وتوقفت آشيل بعدما أدركت أنها ثرثرت ثانية ، وأنهت الثرثرة بأن قالت :

« الأوقات تتغير ، والناس تتغير » .

فيتور : « بصورة مأسوية ، وبأساليب معينة » .

آشيل : « للأسف » .

فيتور : « لم أشاهدك مثل هذا أبداً . . غير مبالية » .

تخيلت آشيل كيف تبدو فى مظهرها . كانت تعتنى بملابسها ومكياجها وشعرها ، لكنها الآن . .

آشيل : « أتريد أن تقول إننى كنت كملكة من ملكات المال فى شارع وول ستريت ؟

فيتور : « سأخبر الترزى الخاص بى بأنك موافقة ، لكنك فهمتنى خطأ . أظن أنك عظيمة » ونظر إلى وجهها وأضاف :

« لازال لك وجه كالذى ينبغى أن يكون فى عمل تسيير السفن . ولك جسد من النوع الذى يبعث الجنون فى الرجال . لذا هل أنت سعيدة بالعيش فى الغرب ؟ ، إحرت وجنتاها ، وتساءلت بغضب لماذا يأتى بمثل تلك الملحوظة الاستفزازية؟ ولماذا يذكرها بما حدث ذات مرة بينهما والذى لايمكن إزالته الآن ؟ ورغم إشارته للماضى لم يبدو فيتور عدوانياً . بدا سلوكه ، على عكس ذلك ، حيث كان معتدلاً . . واسترضائياً .

قالت : « أنا سعيدة جداً » .

قال : « هل لك أصدقاء ؟ »

قالت : « كثير . أتقابل مرتين أسبوعياً مع مجموعة من الأمهات الشابات اللاتى لديهن طفل وذلك بعد الظهر و. . . . . »

قال : « هل لك أصدقاء من الرجال ؟ » .

عبست آشيل . هذا ليس من شأنه .

قالت : « لماذا أنت هنا ؟ » وتجاهلت السؤال وقررت إن كان هناك أحد يوجه أسئلة فسيكون هى التى توجه الإستجوابات .

قال : « لقد حضرت لمناقشة إتفاق أود إبرامه معك » .

قالت : « تناقش اتفاقا معى ؟ أى نوع من الاتفاق ؟ »

قال : « ربما نستطيع التحدث بشأنه داخل المنزل حيث الجو أقل حرارة من هنا ؟ » ونوه مشيراً إلى المنزل .

إهتزت آشيل لحظة . لم ترد فيتور داركوس داخل منزلها . لا تريده فى أى مكان بالقرب من المنزل . إتفاق أو غير اتفاق ، فقد وضح أنه لايتعقبها ، وكل ما أرادته هو أن يرحل بسرعة جداً .

قالت : « ورشتى ملائمة جداً . ولقد كنت فى منتصف رسم القرميد وأود أن أفرغ منه قبل أن يجف . هذا هو الطريق » .

قال : « على رسلك ، يا كابتن » . قالها وهو سائر خلفها .

جلست آشيل خلف منضدتها عند وصولها إلى الورشة ، وملأت فرشاتها باللون . وبدت أنها مصره على إقامة حاجز بينهما بذلك .

قالت : « حسن » .

سأل : « إتمانعين لو ألقيت نظرة ؟ . ، وهز رأسه تجاه ماتعرضه من فنها .

قالت : « تفضل » .

وانهمكت فى الرسم بينما أخذ فيتور يتفحص القطع المعروضة للبيع ، وتبعته بنظرها . وبينما لم يجد فيها أى تغير ، استطاعت أن ترى قليلاً من الإختلاف فيه . ظهرت الخطوط وبعض الشعر الأبيض الفضى زحف على شعره الكثيف ، إلاّ أن فيتور داركوس مازال . . غير وسيم لكنه يلفت النظر .

والندبة الظاهرة التى كانت من الإصابات التى لحقت به عندما حاول نقل سايمون من السيارة المهشمة .

قال : « لك أسلوب حسى كبير » .

قالت : « إن القرميد هذا هو السبب فى أننى هنا اليوم » .

قالت : « هل تريد شراء بعضها ؟ »

قال : « أنا أتولى مسئولية مؤسسة بناء محلية ، لسوء الحظ أنها صارت منتفخة وأصولها من بين ما تضمه هو التآمر على الإستحواذ على عدد من الأفدنة التى تحيط بملكك » نظرت آشيلى إليه وهى مرتبكة : « هكذا أنت الآن تملك الأرض ؟ لكن . . فى تلك الحالة . . . الشركة الدولية أهى شركتك ؟» .

أومأ برأسه : « ألا تتذكرين أن طوال الوقت الذى أتسابق فيه أدير أيضاً شركة تشييد » . أدركت آشيلى أن فيتور داركوس قبل أن يدخل ميدان سباق السيارات كان مؤهلاً كمهندس مبانى وحاصل على درجة علمية فى الأعمال من هارفارد ، وأنه بعد فترة أولية من اكتساب الخبرة مع مؤسسة أوروبية رائدة فقد أنشأ شركته . وقد تقاعد من سباق السيارات .

آسيلى : « وهل صارت أعمالك مؤسسة هامة ؟ » .

هز رأسه قائلاً : « قد تكون هامة أكثر من الأول . . فلدى الخبرة وأرسيت الأساس . . ولكنه عندما كنت أتسابق لم يكن هناك وقت ، ولم تكن لدى طاقة فائضة لأسمح بالعمل أن يعمل إلى النمو المرتفع . لذلك تفرغت له تماماً السنتين الماضيتين ، وتجارتى تكاثرت بسرعة مثل تجارتك» .

وأضاف :

« ولدى الآن مكاتب فى نيويورك وسان باولو ولشبونة » .

وذكّرته قائلة : « وبالإضافة إلى مكتب فى وسط برايا دوكار فوبيرو» .

قال : « هذا صحيح ، ولو أنه عبارة عن فناء مبنى فيه ثلاث غرف ، وسوف نبيعه بأسرع ما يمكن وننتقل إلى مبنى أكبر » .

كانت آشيلى تتمنى أن يتحرك خارج القرية ، وإلى مكان يبعد كثيراً من الأميال .

وأضاف : « نحن نقصر توسعاتنا فى البرتغال على لشبونة والشمال ، لكن مجلس الإدارة وأنا إتخذنا قراراً أن نحضر أسلوب داركوس إلى الغرب » .

آشيلى : « وبداية توسعك» أفدنة الأراضى من حولى ؟» .

قال : « نعم » .

قالت : « مع مناظر البحر إلى الجنوب والجبال للشمال ، هذا إمتداد بهيج للريف . هل توافق على ذلك ؟ » .

فيتور : « أوافق» .

آشيلى : « أنت مهندس ، ومن المفروض أن تجرى تحسينا على هذا الكوكب، ولا تزينه بسلاسل أنابيب معدنية موضوعة بصورة سيئة . ألا تهتم بذلك بسبب المكان المرتفع ستتم رؤية أعمال الأنابيب من مسافة أميال ؟ إنه ستتم رؤيتها » .

وأضافت :

« ألا تهتم بأن الطرق هنا هى طرق ريفية غير مناسبة لحركة مرور ثقيلة وستدمرها كل السيارات الصاعدة ؟ ألا يهمك أنه فى هذا المكان حيث يمكنك الآن سماع تغريد العصافير سيتحول إلى موسيقى صاخبة وإعلانات مكبرات الصوت من الصباح إلى الليل ؟ لا ، فالأمر لا يهمك !»

فيتور : « آه ، يا إلهى » .

قالت : « وماذا عن الأشجار التى سيتم قطعها ؟ وماذا عن الإرتفاعات الطبيعية التى تحتاج إلى تسويتها ؟ وما رأيك فى هذا الإقتحام الذى مآلى أن أعانى منه ؟»

فيتور : « لقد أخطأت ، فأنت قد تغيرت » .

قالت : « هناك مشروعان هكذا على بعد خمسين ميلا من هنا ، لذا فلاحاجة على الإطلاق لمثل هذا المشروع » .

وأردفت قائلة : « لقد قمت بإخطار السلطات فعلا بعدم موافقتى وأنوى تقديم شكوى رسمية . سأذهب إلى مكتب التخطيط وأطلب مقابلة مع المسئول الكبير فى الصباح ، وهو أول شىء أقوم به ، وسأكون مشغولة أيضاً بتقديم التماس

محلى ! لذا لا تظن أن . . . . » .

قال : « هل تمانعين لو قمت بجولة محادثة ؟ » .

قالت : « إبدأ » .

قال : « إننا لا نبنى حمام سباحة ، وشلالات مياه للألعاب المائية » .

قالت : « لا ؟ » وهى تحملق فيه .

قال : « مثلك ، أعتقد أن بناء مثل ذلك هنا سيكون خطيئة » .

قالت : « آه . لذا فماذا تنوى عمله بالأرض ؟ » .

قال : « بناء فيلات من خمس حجرات نوم ، مع جراج لكل منها . وسيكون لكل فيلا حديقة وتحتفظ بالمرتفعات الطبيعية وبمعظم الأشجار . وسيكون هناك حمام سباحة ومنطقة للمناسبات الاجتماعية التى يقدم فيها اللحم المشوى » .

قالت : « هائل » .

قال : « نعم ، سيكون كل ذلك . وهذا هو السبب فى أننا نرغب شراء منزلك » .

سألت : « تشترون منزلى ؟ » .

قال : « رجالى من مهندسى المساحة أعدوا الخطط ، والمنزل سيكون فى منتصفها » .

قالت : « حينئذ ؟ » .

قال : « لذا نفضل لو أنك غير موجودة هنا » .

الفصل الثانى

عرفت آشيل الآن السبب فى أن موقف فيتور هو موقف إسترضائى . ليس له علاقة بالماضى وكل شىء له علاقة به هو أن يخرجها من منزلها . كان ينوى تهدئتها قبل الإنقضاض عليها !

سألته : وفكرت فى أن المبنى القديم يجاور فيلاتك الناضرة ، لذا أردت شراءه وهدمه ؟ ، سار فيتور بضع خطوات ناحية الباب المفتوح لينظر إلى المنزل بنوافذه المطلية بالطلاء الأبيض .

قال : « إن المنزل على عكس ذلك ، فهو بمواصفاته يمكن أن يتحول إلى نادى صغير للمواطنين ، وهذا الأمر تبدو فكرة جيدة . هذا هو السبب فى حضورى لأفتح مفاوضات بتقديم العرض إليك .

آشلى : « لا ، أشكرك »

قال : « أنت لم تسمعى ما هو »

آشلى : « وماذا بالضبط »

قال : « إن الإقتراح ، وهو طلب وكيل عقارات تختارينه لتقدير ثمن العقار ثم يضيف خمسة ملايين إسكور (عملة برتغالية) إلى الثمن بسعر الصرف اليوم ... وهذا المبلغ منحة م لتعاونك ولتعويضك . وسوف تتحمل شركتى المصاريف القانونيه ومصاريف الإنتقال . وإنى ادرك قبل أى إلتزام تريدين النصيحة ، ولكنك ، دعينى أعرف ردك المبدئى .

قالت : « لست مهتمه » .

www.elromancia.com

قال : « انه إتفاق جيد »

قالت : «أنا لاأختلف فى ذلك ، ولكننى أحب أن أعيش هنا . ثانيا ، لا أرى أن إدارة ورشتى لا تهم أحدا غيرى ».

قال : «ومارايك فى السائحين الذين يفرون إلى القرية لمشاهدة معروضاتك ؟ أليس هذا باهتمام ؟ ألن يبددوا هدوء الجوار ؟»

قالت : لا ، لأنهم غير كثيرين .

رمقها فيتور بنظرة وقال : لقد قلت حالا مدى سرعة نمو تجارتك وإنه وفقا لباولو

قالت: « من باولو ؟»

قال :« الشاب المسئول عن التنمية والذى سيدير المكتب . وقد إنتقل إلى شقة بالقرية منذ أسبوع . »

قالت : « هل هو باولو الذى أخبرك بأن صاحبة المنزل ترسم على القرميد ؟ »

فيتور : « نعم . لقد لاحظ توقيعك . لذا كان يتحدث إلى الوطنيين ويسأل بضعة أسئلة »

قالت : « ماذا تعنى أن أحد جواسيسك جمع ملف سرى عن الحقائق بشأنى . »

قال : « حيث أن عقارك فى منتصف الموقع فإنه يبدو أنه من المنطق اكتشاف ما يجرى هنا . وإنه من حسن الحظ أننا فعلنا ذلك بسبب ما اكتشفناه ؟ صناعة داخل كوخ .

وفقا لما ذكره باولو إنه فى كل محل فى برايا دو كارفوبيرو توجد بطاقات دعوة مفتوحة العالم ولزوجته للحضور ومشاهدة معروضاتك من الفن على القرميد ، التى »

قالت : « البطاقات جلبت بضعة زبائن ، ولو أن المزيد سوف يتم الترحيب به . ومجموعة مبيعاتى أحصل عليها من خلال العمولات . »

قال : « إنه من المفترض أن الذى يعطيك العمولات لابد وأن يأتى ليرى نوع الأشياء التى تقومين بعملها ، فضلاً عن الوقوف على تقدم العمل من وقت لآخر».

قالت : « حسن ... نعم »

قال : « وتوريداتك هل يتم توزيعها بسيارة نقل . وإنه من المؤكد لا يتطلب الأمر درجة فى علم الاجتماع للتأكد من أن الناس الذين يستثمرون ما كسبته أيديهم فى منزل له نشاط نوعى خاص لن يذهبوا ويجيئوا خارج بواباتهم » .

قالت : « أنت تجعل الأمر واقعا كما أن هناك قوى ماحقه تجوس فى الجوار» .

وأضافت : « إمداداتى تأتى بها سيارة فان ، وهذا يحدث مرة أو مرتين شهريا . »

قال : « حتى ذلك ، فهناك درجة من النشاط التجارى »

قالت : « وحتى ذلك ، فأنا لا أريد أن أبيع . »

وتمتم ببعض الكلمات البرتغالية من بين أسنانه لم تستطع ترجمتها .

قال : « إفترض بأننى قمت بزيادة العرض ؟ »

قالت : « لا »

قال : « وأنا الذى إعتدت على أن أظنك كعكة ظريفة لينة » .

قالت : « لا تؤاخذنى ؟ .

قال : « إنه بالمقارنة إلى الكثير من الأجزاء الأخرى من أوروبا فإن العقار فى البرتغال أقل سعر نسبيا ، لذا فإن مبلغ المال الزائد سينقلك إلى مكان مختلف وأرقى بكثير . لقد أخبرتينى أن المنزل فى حاجة إلى العناية به ؛ تحركى ويمكنك التحرك إلى مكان مرتب بصورة ممتازة حيث ستقدرين على جذب المزيد من العملاء ذلك » .

حلقت آشيلى تجاه المنزل . إن عرضه لا شك له جاذبيته لكنها لم تتم غوايتها له . ربما فيتور داركوس غير اتجاه حياتها ذات مرة لكنها لن تسمح له بأن يفعل ذلك مرة ثانية ت . فالآن هى التى تصنع القرارات ، والآن هى التى تسيطر ، ومستقبلا قد تقوم ببيع المنزل لأن هذا سيكون بمحض اختيارها هى وليس كما هو يريد .

ولا تسبب الروشة أية فوضى . لو قبلت ذلك العرض الكريم ربما تشعر بأنها وضعت نفسها تحت نوع من الإضطرار . لا ، شكرا . ويجب التصدى لأى تورط فى شباك فيتور غير ضرورى .

قالت : « لا » .

قال : « سأكون ممتنا لو منحت عرضى ثلاثين ثانية من التفكير الجيد »

قالت « ما من شيء للتفكير فيه . ليست لدى الرغبة فى البيع وهذا أمر نهائى . مع السلامة .

قال : « أنا أتذكر ذاقنك لهذا »

عرفت آشيل ما يعنيه بالضبط ، فربما يذكر تفاصيل الحادث الذى كان يشير إليه . وكانت على وشك الرد لو لم يكن لديها الميل إلى إحياء الماضى الآن .

قالت : « أنت مهتم بورشتى بصورة جدية . »

قال مكرر : « نشاطاتك التجارية ستزعج الجوار . »

نظرت آشيل ثانية إلى المنزل . تصنتت ، هل توماس يناديها ؟ لا ، إن هذا من وحى خيالها .

قالت : « ربما يكون هذا رأيك ، ولكنه ليس رأيى . والآن ، هل تسمح »

قال : « لأنه هناك مكالمات هاتفية يجب إجراؤها والعديد من الأمور تحتاج إلى عنايتى فقد استيقظت فى الفجر هذا اليوم . ثم أننى قدت السيارة لمسافة مائتى ميل من لشبونة لكى أزور الذى يمتلك هذا المنزل ، أيا من كان » .

قالت : « أنت ظننت أنك ببدلتك الشيك وابتسامتك تبرم اتفاقية معهم ؟»

قال : « ظننت أن المالك قدتقدر ستهلاكى الوقت وتحمل المشقة للوصول إليهم شخصيا وأردت أن أوضح له أننا مهتمون به ونرغب فى التوصل إلى معاملة تبادلية ترضى الطرفين ، وأظن أن صاحب الشركة يجب أن يكون مهتماً بمظهره »

قالت : « خاصة وأن صاحب الشركة هو المايستر السابق الشهير فيتور داركوس . من يستطيع مقاومة أى إقتراب منه ؟ »

قال : « إننى منذ سنتين أرفض المقابلات واتجنب كل اتصال مع وسائل الإعلام . إبتعدى عن الأضواء وسرعان ما تكونى فى طى النسيان . وأستطيع أن أؤكد لك أننى بالنسبة للعامة أنا شاب عادى . »

لم تنفوه آشيل بأى كلمة . فيتور داركوس بينما يصدق ما يقوله فإنه يجرز تقدما ، وأنه نشط جدا .

لقد حضرت ويحدونى الأمل أن أفتح مفاوضات مع مالك المنزل . أمضى الوقت مع باولو فى المكتب ، وأتناول غذاء خفيفا قبل عودتى إلى لشبونه ، ولكن»

قالت : «هل أنت عائد إلى لشبونة اليوم ؟ » حيث قاطعته وهى مندهشة من هذا الجدول المتخم بالأعمال .

قال : « نعم ، عائد » : قالت « لكن ماذا حدث عندما وصلت إلى برايا ووكارفيرو ؟

توقفت فى خضم حركة المرور الكثيفة ثم تواجهنى إمرأة تصم آذانها للعقل وتكون مصدر ألم تماما . »

قالت : « أنت تقول إقفزى والمفروض أتساءل إلى أى إرتفاع أقفز ؟ »

قال : « من المفروض أن تأخذى اقتراحى بمحمل الجدية . ولا أتوقع منك ردا فوريا . الأمر مع وكيل العقارات ومحاميك . »

قالت : « ليست هناك حاجة إلى ذلك . »

ضرب بيده حائط الورشة بشدة مما جعلها تقفز .

وقال : « ماذا تريدينني أن أفعله ، أركع على ركبتى وأتوسل إليك ؟ »

إبتسمت آشيل قليلا . وشكت فى أن فيتور يتوسل إلى أى أحد لأى شيء فى حياته ، لأن فيتور له كبرياؤه .

وأضاف فيتور :

« رفضك دراسة عرضى ألم يكن نوعا من الإنتقام لما قلته فى آدليد ؟ إذا كان ذلك ، فإننى أريد أن أعتذر عن الوقت . وإن مواجهتك فى تلك اللحظة بصفة خاصة كان أمرا باعثا على اليأس . إنى وغد . »

واكفهر وجهه .

آشيل : « نعم . لقد كنت وغدا . »

فيتور : « عذرى الوحيد أن الحادثة كانت مؤدية إلى الإصابة بجروح ، وكنت فى صدمة »

آشيل : « لكن رأيك لم يتغير ؟»

قابلت عيناه عينيها وقال : « لا » .

آشل : « الإنتقام ليس بقضية . وأيا ما قد تظنه فليس لدى أى مشكلة فى ظروف موت سايمون . »

سكت فيتور لحظة ثم تساءل :

« حينئذ ، لماذا أنت عنيدة جدا ؟ »

قالت : « أنت عنيدة تماما ! كل ما أطلبه هو أن تأخذى وقتك لتزنى الإتفاق الذى أعرضه عليك و ... هل لديك ترخيص ؟ »

قالت : « ترخيص لأجل ماذا ؟ »

قال : « لتقومي بأعمالك التجارية خارج هذا المبنى »

تغير لون وجه آشلى وشعرت بأنها هوجمت .

آشلى : « ليس ذلك بالضبط . »

فيتور : « ماذا تعنى ؟ »

آشيلى : « حسن ، قبل أن أقيم ورشتى أرسلت طلبا بذلك إلى المكتب المختص ، لكنه ما من إخطار ورد فى هذا الشأن . اتصلت هاتفيا بعد حوالى شهر وقيل إننى سأسمع عن ذلك قريبا ، وعندما لم يصلنى إخطار إتصلت هاتفيا بعد شهر أو نحو ذلك وقيل لى نفس الشىء . ولكنه ما من شىء حدث منذ ذلك الحين »

فيتور : « ونسيت ذلك الأمر ؟ »

أومأت آشيلى برأسها بالإيجاب . لماذا لا تكذب كذبة بيضاء وتعلن أن لديها ترخيص ؟ حيث تساءلت آشيلى فى نفسها . ولأنها لا ترتاح إلى الكذب قالت له الحقيقة ، الحقيقة برمتها ولا غير الحقيقة .

آشيلى : يُبدو أن كل شىء رسمى هنا مرتبط بالروتين ، ولو أنه يستغرق وقتا طويلا إلا أننى متأكدة أن الترخيص جارى إعداده . »

خفف فيتور من إحكام ربطة العنق قليلا وألقى ملحوظة قائلا : وأربعة شهور تأخير ، حتى بالنسبة للبرتغال . وربما يضيع طلبك الذى قمت بتقديمه .

وسواء فقد أو لم يتم فقده وحيث لم تصلك أية عقوبة فلابد وأن هناك قضية قوية بالنسبة للإدعاء بأنك تتاجرين بصورة غير مشروعة . وبدلا من أن تقدمين شكوى للسلطات بشأن مدينة الملاهى المائية المقترحة ربما يتوجب أن أقدم شكوى بشأن ورشتك . »

أصابت آشيلى البرودة رغم حرارة الجو . هل هى انتهكت القانون ؟

لو قدم فيتور شكوى فهل ستذهب إلى المحكمة ويتم تغريمها ؟

وهل يتم إنهاء عملها التجارى ؟

سألته : « هل هذا تهديد ؟» وكانت تبدو نغمة اللامبالاة فى صوتها لتخفى خوفها .

قال : « مارأيك ؟ »

قالت محتجه : « هذا ليس برد » .

قال : « هذا بقدر ما تفهمينه » .

كانت آشيلى تتناول الأمر بصورة خاطئة تماما . لقد وصل فيتور بكل الود والسلام فى ذهنه ، وكيف كان ردها هكذا ؟ وعدم نيتها تسليم منزلها إلاّ أنه من الحماقة أن تدع الجو بينهما يصبح لاذعا .

إنها لا تحتاج إلى نية فيتور الحسنة الآن فقط وإنما تحتاج إليها مستقبلا ، فتحويله إلى عدو هو قصر نظر ... وربما يكون أمراً خطيرا .

قالت : « أنا آسفه لاستياءك لأننى لا أريد البيع ، وآسفة لأن آراءنا حيال الورشة متضاربة ، ولكننا لما لا ننتظر حتى تتم سكنى الفيلات ونجرى قرعة فيما بين الملاك ؟ وإن صوتوا ضد رأيى فلسوف أرحل . » وابتسمت حيث أضافت : « موافق ؟ »

قال : « أستخدم كلمتك المفضلة لا . »

خفتت إبتسامة آشيلى وقالت : « لا ؟ »

نظرت آشلى إلى المنزل ثانية . لماذا يجادل ؟ لماذا لا يوافق وهى ليست على وشك تحدى رغباته ثم يذهب ؟ يذهب قبل أن يدخل توماس حيث أنه على وشك أن يأتى ويدخل .

قالت : « حينئذ ، كل ما يمكننا فعله هو أن نتصرف كبالغين متحضرين ونوافق . »

قال : « أنا متحضر وبالغ ، أما أنت فلدى شكوك قوية حيالك . »

قالت : « وهو كذلك ، إرسل لى خطابك وأنا أعدك بدراسته وأرد عليك فى أقرب وقت » .

قال : « أنت تلاطفيننى . »

قالت : « إن شجارنا حول هذا ليس كنقش على الحجر » . وأرادت أن تنتهى مقابلتهما بصورة متحضرة . والآن . أضافت : « أعنى أننا بإمكاننا أن نكون ودودين » .

قال : « أصدقاء ؟ »

آشلى : « نعم . »

قال : حُينئذ إلى اللقاء ، ياصديقة ، ثم جذبها نحوه وقبّلها ، وأثناء ذلك إذ

بصوت صغير يقول : « ماما ! » واستدارت آشيلى لترى توماس بشعره البنى ووجنتيه الحمراوتين من أثر النوم . كانت مصممة على ألا يقع نظر فيتور على الطفل ، لكنه الآن

قالت : « أهلا ، ياحبيبى » وجرت لتأخذ الطفل بين ذراعيها ووضعت رأسه على كتفها .

وأضافت : « يجب أن أذهب . إلى اللقاء . »

قال فيتور : « علمت أن لك إبنا ، لكننى لم أكن أدرى أنه بالمنزل . حيث أنك تريدين عملاً تجارياً ، فكنت أفترض أنه يجب أن تتركينه مع مربية . »

قالت : « ألا تظن أنه صغير لتركه طوال اليوم وكل يوم خارج المنزل ؟ »

قال : « أظن ذلك »

قالت : « وقبل أن يولد قررت أن يأتى أولا ثم أمكث بالمنزل معه خلال سنواته الأولى . »

قال : « حيث أنه لا أب له فإنه يستحق كل وقت الأم ؟ »

قالت : « أثناء النهار ، أرسم فقط عندما ينام ، وأحيانا استمر لساعة زيادة إذا كان سعيدا باللعب بجانبى . معظم أعمالى أقوم بها فى المساء عندما يكون فى السرير . والآن لو سمحت ممكن . . . »

قال : « الا تتركينى ألقى نظرة عليه ؟ على إبن سايمون ؟ »

صرخت آشيلى فى أعماقها ، فهى الآن وجهًا لوجه أمام كارثة محتملة .

وانتشرت أصابعها على رأس توماس تحميه من نظرة توماس .

هل تعلن أنه بحاجة إلى تغيير ملابسه ؟ هل تنسج قصة عن مرضه بمرض معدى ؟ لكنه ما من وقت لنسج القصة . وحيث أن الطفل لم يكن مستريحا تحت قبضتها تلوى وأفلت من يدها ووضع يده لينظر من فوق كتفها .

نظر فيتور وقال : أهلا ، للطفل .

وبدأ قلب آشيلى يدق فى صدرها ، وكان توماس يتفرس فى وجه فيتور كما كان فيتور يتفرس فى وجه الطفل . فيما كان يفكر ؟ وتساءلت وهى منزعجة . هل هو؟ ربما هو ؟ ولو أنه . . . ؟

قال فيتور : « إنه لا يشبه سايمون . فلونه داكن بصورة أكبر »

قالت : « نعم . أقسمت والدتى أنه صورة من أخى عندما كان فى مثل

عمره . »

قال : « ما اسمه ؟ »

قالت : « توماس . »

قال : « أهلا ، يا توماس ؛ ونطقها بالبرتغالية حيث حرف « السين » ينطق شىء . ولأن الطفل لم ينطق قالت آشيلى : « إنه مكسوف . ويقلق من الرجال . فهناك شاب دانماركى أتعامل معه تجاريا ، رغم أن توماس يعرفه جيدا ويجب أن يركب سيارته الفان فإنه يرفض أن يفعل شيئا مع ليف شخصيا . »

وانطلق الطفل إلى ذراعى فيتور .

وابتسم الطفل إليه .

سأله فيتور : « ما معك فى يدك ؟ إن أول سيارة امتلكتها كانت مثل تلك . عندما ذهبت بها إلى الشاطىء ، كانت تصعد وتهبط من على التلال الرملية ، وصوتها مثل بوم بوم . »

ردد الطفل : « بوم بوم »

نظرت إليهما آشيلى ووجدتها على وفاق معا . وأبدى الطفل فرحته لمقابلة فيتور . ولو أن فيتور شارك المودبل كليست المعيشة مدة عامين إلاّ أنها لم تتصور أبدا أنهما يتزوجان . لكنه لما لا ؟ تساءلت الآن . ربما كوّنا عائلة الآن . لكن فكرة زواج فيتور ويكون له أطفال هى فكرة محبطة . وإنه يكون من الأفضل لها لو تزوج . طلب توماس « عصيرا »

سألته : « عصير ـ ماذا ؟ »

قال الطفل : « عصير ـ من فضلك » ونطق من فضلك ناقصة حرف من الحروف .

قالت فيتور مداعبا الطفل : « لو نطقتها مثلك هل تعطينى عصيرًا أيضا ؟ »

وأضاف : ربما هى تتعجل رحيلى ، ولكن الجو حار وإننى على وشك أن يفرغ الماء من جسمى . تنهدت آشيلى ولازالت متلهفة لأن أذهب . لكن رفض مشروب سيكون أمرا صعبا .

قالت : « ماذا تحب أن تشرب ؟ عصير برتقال ، ليمونادة مصنوعة منزليا أو كوب من البيرة ؟ »

قال : « ممكن بيرة » .

قالت : « تفضل من هذا الطريق » .

وطلب الطفل إنزاله عندما وصلوا إلى المطبخ .

قال الطفل : « ماذا قلت ؟ »

إبتسم الطفل وقال : « من فضلك » مثلما نطقها أول مرة ناقصة أحد الحروف مبتسما . وأخذ الطفل يلعب بصندوق اللعب الخاصة به حيث جلس فى أحد الأركان .

قال فيتور : « أنت قلت إنك جعلت المنزل مريحا ومرحا . » وظل فيتور ينظر حوله . وجد أن الخشب صنع تناقضا جذابا مع الجدران البيضاء . أضف إلى ذلك الستائر الصفراء والبيضاء ، والألوان المائية للفاكهة والخضراوات التى رسمتها بنفسها . وكان المطبخ مريحا . وكانت حجرة الجلوس مطلية بالطلاء الأحمر المريح الذى يتوافق مع الخشب الداكن والمقابض النحاسية لأثاث جدها . السجاد له ظلال لون الزمرد والتوباز المنثورة على الأرضية والستائر مثل أغطية الأريكة والكراسى الفوتيه الكبيرة ، وهى مصنوعة من القماش بلون الكريم .

وهناك شمعدان مختلف ألوانه وصناديق زجاجية من القواقع التى جمعتها آشيلى وتوماس . وهناك زهرية ضخمة مليئة بالزهور . وابتسمت آشيلى وأعطت عصير البرتقال لتوماس ، كما أعطت فيتور مشروبه .

وأضاف فيتور متسائلا : « ماالذى جاء بك إلى البرتغال ؟ »

قالت آشيلى : « هذا المنزل . »

فيتور : « لكنك بإمكانك بيعه واستخدام المال لشراء عقار فى وطنك . والذهاب للعيش فى بلد آخر هو خطوة كبيرة تقومين بها . بعيدا عن أية اعتبارات أخرى مثل ترك كل أصدقائك والمجتمع الذى عشت وكبرت فيه من وراء ظهرك . وهل والداك لم يعترضا على أخذ حفيدهما بعيدا ؟ »

قالت : « لا ، لأنهما غير موجود بين فى انجلترا الآن ، حيث يعمل والدى فى شركة بترول وقد تم نقله الصيف الماضى إلى مقرها فى تكساس لمدة خمس سنوات . هو ووالدتى متلهفان على ذهابى وتوماس والعيش معهما هناك ، ولكننى أفضل أن أكون مستقلة . ولذا فأنا هنا . وأخى الدبلوماسى يقضى تدريبه فى بروكسل ، فهو بالخارج أيضا . »

قال : « ألم يكن من الأكثر سهولة أن تكونى فى وطنك ومستقلة ؟

قالت : « لا . قررت أن تكون هناك فرصة بالنسبة لى لأستخدم مهاراتى فى الرسم . وأكسب مالا دون الحاجة لأجعل توماس مع مربيته . ورسوماتى تحقق ذلك . وإن مستوى المعيشة هنا رخيص أيضا لذا تزداد النقود . »

قال : « هناك مناطق إنجليزية لقضاء الأجازة ويمكنك عرض وتسويق لوحاتك . ثم تقررين التحول إلى بلد آخر خاصة وأن اللغة مختلفة »

قالت : وكما تتذكر أنا أفهم البرتغالية بصورة معقولة وكل ما أريده هو دراسة لمدة شهر أو إثنين هنا لأتكلمها بطلاقة . والآن أشعر تماما بالنسبة اللغة كما لو أننى فى وطنى » .

قال : « هل تنوين البقاء طويلا ؟ »

قالت : إنى باقية حتى يعود والداى من الولايات المتحدة . وبعد ذلك لا أعرف ، ولكنه من الممكن . »

قال : حُيتذيمكن لتوماس أن يكبر فى البرتغال ؟ »

قالت « المناخ يجعل هذا المكان مكانا جيدا لتنشئة طفل فيه . وهو مازال يعانى من البرد و . . . »

قال : « فهمت الرسالة الآن » .

قطبت آشيلى عن جبينها . وهل هى كشفت عن قضيتها ؟ لكنه مامن مفر لأن تفشى سر سبب قرارها بالإنتقال إلى هنا .

وأضاف : « عندما قرأت عن أن فتاة سايمون كوبر قد أنجبت طفلا ذكرا ، أعترف إنى دهشت » وحملق فى توماس

قالت : « هل كنت تظن أنى قمت بعملية إجهاض ؟ »

قال : « فكرت فى ذلك . »

قالت : « حيث لم يكن هناك رجل على المسرح هل تصورت أننى لن أهتم بالاحتفاظ بالطفل الذى كان ينمو داخلى ؟ »

قال : « ليس الأمر هو أمر عدم اهتمام . »

نظر دقيقة أو دقيقتين إلى اللعب وأعجب بها .

وقال فيتور وهو ينهض من مكانه : شُكرا على المشروب . لا أود أن أضايقك لكن الوقت قد حان للذهاب فى طريقى . »

قالت : « بالمعار » ورفعت توماس ورافقت زائرها إلى خارج المنزل حتى

السيارة .

قال الطفل السيارة ! ، عندما رأى السيارة بى . إم . دبليو .

قال فيتور وهو يفتح باب سيارته :

« عندما أخبر والدتى عن توماس سوف تفاجأ . »

قالت : « كيف حال والدتك ؟ »

قال : « وبخير وعافية ؛ وأضاف وهو يجلس خلف عجلة القيادة : سوف تفرح عندما تعرف أننا تقابلنا . فهى لا تزال تتعاطف معك . »

إبتسمت آشيلى : « والعكس صحيح » وكانت آشيلى قد تقابلت تمع مارجريدا داركوس الأم الأرملة ، وحديثها الناعم وشعرها الفضى جعلها تشعر أنها أصدقاء على الدوام .

وقالت أيضا : « من فضلك بلغها سلامى » .

قال : سوف أبلغها سلامك . وسأرسلك لك خطاب التأكيد بالسرعة الممكنة . سأكون ممتنا لو فكرتى فى عرضى بجدية » ، ونظر إليها وأضاف :

« وتذكرى أن الفوز دائما يرضينى ؛ ورفع يده قائلا : « إلى اللقاء »

تنهدت آشلى وهى تدخل المنزل . هل تبيع له المنزل ؟ حيث تساءلت وستمنع أى زيارات أخرى . وإن لم يتم منع الزيارات فإن هناك تكون مغامرة وهو أن فيتور شاهد توماس مرة ثانية وثالثة أو رابعة فإنه سوف يلاحظ الشبه بينهما ، أضف إلى ذلك التواريخ ويتحقق من أن والدته لها حفيد !ظهر القلق فى عينيها . لكنها لا يجب أن تدع فيتور يعرف الشبه ، ينبغى أن تخبره . وسوف تعد نفسها لذلك .

جلست آشيلى على منضدة المطبخ عندما كان توماس يلعب بسياراته اللعب كانت مقطبة جبينها وذهنها غارق فى أحداث السنتين الماضيتين . إن الحافز لكل شىء حدث كان سايمون .

النحيف ، الصبيانى ، سايمون المدمر ...

***

الفصل الثالث

« أود لو أنك لا تخبرى أحد كيف عرف بعضنا البعض » . قال سايمون وعيناه على الطريق ، وأضاف : « ولو تم سؤالك قولى فقط أن عائلتينا أصدقاء » .

نظرت آشيلى نظرة حزينة وتنهدت .

قالت : « هل تتوقع أن أكذب ؟»

إبتسم وقال : « إنها كذبة صغيرة . أرجوك يا آشيلى » .

كان صباح يوم السبت فى فبراير ومر الشاب والتقطها من شقتها ووصلا إلى مسار سباق السيارات فى قلب سيرى . واقترح على آشيلى أن ترافقه فى اختبار اليوم .

قالت : «ولكن . . . . »

سايمون : « ولا أريد أن يعرف أحد » .

رضخت آشيلى ورددت : « عائلتانا أصدقاء » .

سايمون : «أشعر أنك متأكدة من أن هذا هو طريقى . سأصبر مشهوراً وثرياً . وإننى سأحل محل فيتور فى عام أو اثنين ثم انتقل إلى أحد الفرق لأجل مال أكثر بالطبع » .

آشيلى : « ألم تكن متفائلاً بصورة متزايدة قليلاً ؟ وطبقا لمقالة قرأتها ، فيتور داركوس هو واحد من أروع السائقين وفاز بعدة جوائز كبيرة ولوكانت هناك ميكانيكا عالمية لكان بطل العالم . ولو كان مواليا لفريق داجتى لفاز بالبطولة عدة مرات» .

قال الشاب : « فيتور جيد . . ولكننى سأصل إلى القمة أسرع منه بكثير» .

رمقته آشيلى بنظرة . . وكان صاحبها يصغرها بعامين وبدا وكأنه فى العاشرة - مرة

وكان يبالغ فى الإشارات ويطلق العبارات الرنانة فى محاولة للتأثير على الإنطباع .

وأضاف : « دعوتك لأن والدتك أخبرتك بأنك يجب التأكد من أن هناك المزيد من الأشياء فى الحياة أكثر من العمل » .

قالت : « حقيقى . وأتطلع إلى الأمام » .

عندما كانت فى الكلية إشتركت فى الكثير من المناسبات الاجتماعية والأنشطة وطاقاتها مرتكز فى عملها . ثم بعدذلك تجنبت عن عمد التورط فى أى علاقة بين امرأة ورجل . وقطبت آشيلى عن جبينها . فهى تزن العمل واللعب وهى تهتم بالجانب الاجتماعى فى الحياة بصورة أكبر .

سايمون : « من الأسف أن صديقة فيتور ، كليسيت ، لن تحضر اليوم السباق وكانت فرصة للجلوس معها . فهى من النوع الودود » .

وأضاف : « عندما تصل سأجد لك مقعدا فى المقدمة وهى مقاعد يت محجزها للضيوف ، وسأعود الساعة الواحدة لآخذك لأجل تناول الغذاء ، لقد قيل لى أن هناك مطعماً جيداً » .

وأخذت آشيلى تراقب السيارات وتسمع زمجرة محركاتها وألوانها ، وإن ما تهتم به الآن هو الغذاء . وصلت الساعة إلى الواحدة وتخطت الواحدة وتقترب من الثانية . السائقون من المتسابقين أخذوا فترة راحة لكن سايمون لم يظهر بعد . أين هو ؟ ولمحته فوقفت على قدميها ، ثم ذهبت لتشترى بعض الشيكولاته . ونزلت من المدرج واتجهت يسارا وفوجئت بباب مغلق مكتوب عليه خروج » حيث فتحته ووجدت سيارات متوقفة ومجمع مبانى خاص ، ولم تشاهد أحداً فترددت وتساءلت هل من الأفضل الرجوع ثانية إلى مكانها فى المدرجات ؟ لكن الهواء الشديد قفل الباب خلفها فاضطرت لأن تجتاز الحاجز أنها سمعت صوتا خلفها يقول : ـ « يا هذا ! »

فزعت آشيلى ونظرت خلفها فوجدت رجلا يرتدى أوفرول وخوذة سائق بيضاء مهشمة يقف على بضع ياردات منها . لم يكن سايمون ، هذا الرجل كان طويلاً أيضاً وقوى البنيان . تقدم الرجل . وتساءلت آشيلى هل سيؤذيها ؟ ونظرت إلى عينى الرجل وفمه . . كانت عيناه بنيتين وشفتاه رائعتين ، حيث شعرت بعاطفة جوه . كيف يحدث ذلك ، تساءلت ، ولم يتقابلا من قبل ؟ كان الرجل مرتبكاً ما فرفع خوذته .

قال الرجل : « أنت قابضة على مسمار » محذرا إياها .

قالت : « أشكرك » حيث رفعت يدها عن المسمار .

وتخطت الحاجز واستدارت لتواجهه حيث أن كل ما فعلاه هو الحملقة فى وجه كل منهما ، وتبادلا بضعة كلمات ، إلا أن شيئاً سحرياً قد حدث بينهما . شىء لم تستطع فهمه ، لكنه شىء جعلها تريد معرفة المزيد والمزيد عن ذلك الغريب الرائع .

وأضافت : أظن أن هذه المنطقة محجوزة للأفراد المتسابقين ، وأنا آسفة لتجاوزها ، ولكننى خرجت من باب الخروج وقت الحريق ، ولم أستطع العودة . لذلك اعتقدت أننى بتسلق الحاجز سأكون قادرة للوصول إلى المدخل حيث استطيع شراء شيكولاته . « كان سايمون من المفروض أن يأتى ليأخذنى منذ ساعة لتناول الغذاء ، وأضافت : لكنه يبدو أنه قدنسى ذلك وأنا جائعة و . . . »

قال الرجل : « لابد وأنك آشيلى . أخبرنى سايمون أنك ستحضرين اليوم » .

وقال : « أنا فيتور داركوس » .

آشيلى : « سررت بلقائك » .

قال فيتور : « لقد تركت سايمون حالا مشغولاً مع الكومبيوتر مع أحد المهندسين ، لذا فأنت محقة ، لقد نسى أمرك . وأنا سعيد لأن أقول » .

آسيلى : « لماذا مسرور ؟ » .

فيتور : « لأن أهم صفات السائق التى يجب أن تكون التركيز . فإذا كنت تقودين سيارة بسرعة مائتى ميل فى الساعة وتجول ذهنك لمجرد كسر من الثانية ، ربما يكون ذلك أمراً مميتاً » .

وأضاف : « سأذهب لتناول الغذاء . ولأن سايمون مشغول ، فما رأيك لو انضممتى لى ؟ » .

إبتسمت : « أشكرك » .

قال : « أحتاج إلى تغيير ملابسى . ولكنى لن استغرق وقتاً طويلاً » .

عاد فيتور فعلا بسرعة مرتديا سويتر بلونه الكريمى وجينز أزرق وجاكت جلدى أسود . كان يلقى كثير من الناس التحية إليه وهما فى طريقهما إلى المطعم ، والكل معجب به .

وأضاف : « أدركت أن طاحونة الإشاعات لاحظتنا الآن كحبيبين ، أ ـ مرة

كذلك ؟» .

قالت : « حبيبان ؟ »

وأضافت : « أنت تحب أن تكون فتاتك معك فى كل جائزة ؟ » .

قال : « كليسيت تحب أن تحضر كل جائزة . أنا شخصيا أود أن تهتم بعملها بصورة أكبر » .

قالت : « الذى هو ؟ » .

قال : « العمل كموديل . تستطيع كليسيت أن تصل إلى القمة إذا ركزت تفكيرها فيه . مثلك» .

قالت فى دهشة : « هل تعرف ما أعمل ؟ » .

قال : « أعرف كل شىء عنك . أمدنى سايمون بالتفصيل » .

قالت : « آه . لم يكن كل رجل يوافق على إمرأة لها طموح ، وهى غير متأكدة ماذا كان بعنى كلامه .

قال : « ولماذا أنا لا أوافق ؟ فأنا طموح » .

قالت : « وحتى ولو كان ذلك ، فإن هذا يدهشنى . خاصة مثلكم أيها البرتغاليون وإن معظم البرتغاليين الذين قابلتهم لديهم آراء متحفظة حيال دور المرأة فى الحياة » .

فيتور : « إن لديك خبرة واسعة عن بنى وطنى الفلاحين ، أليس كذلك؟» .

ضحكت آشيلى . وقالت : « لا ، حتى فى أواخر سنى الصغيرة أمضيت كل أجازة فى الغرب لذلك فإن لدى تحفظات على القليل جدا منها » .

قال : « هل تتكلمين بالبرتغالية معهم ؟ » .

قالت : « قليلاً » .

قال : « ألا زلت تتكلمينها ؟ » .

قالت : « قليلاً . لذا صدأت اللغة قليلاً » .

قال : « هل تريدين بعض التمرين ؟ »

هزت رأسها بالموافقة .

تحدثا طويلاً مما جعل بعضهما البعض يضحكان ووجدا نقطا لالتقاء الآراء بها ، عموماً قضيا وقتا طيبا . . حتى أدرك فيتور أنه يجب أن يعود إلى جلسة

السباق . نظرت آشيلى من نافذة السيارة لتشاهد الريف الذى غمرته أشعة شمس سبتمبر . . وفى بضع دقائق أخرى ، هى وسايمون سيصلان إلى منزل مارجريدا داركوس وسوف تلتقى مع فيتور ثانية . منذ فبراير عندما تجاذبا أطراف الحديث بالبرتغالية شاهدت سباق السيارات مرتين . مرة عندما دعاها سايمون لاختبار يومى آخر ، ثم فى يوليو فى الجائزة البريطانية الكبرى . اللقاءان حدثا فى صحبة آخرين وكانا مختصرين .

رغم انقضاء شهور لكنها لم تنساه . وجدت آشيلى أنها تفكر فى ملامح فيتور ثانية ، وفى تلك اللحظات الأولى من لقائهما الأول . ربما وجد فيتور أنها سهلة للتحدث إليها إلاّ أنه لم يكن لديه إهتماما بها من نوع آخر .

قالت آشيلى : « إن مرتفعات سنترا تعنى أنه مع ارتفاع حرارة الصيف يكون جو المدينة منعشا وهو السبب فى أن الأثرياء إعتادوا بناء منازلهم الريفية هنا هربا من حرارة لشبونة » .

استمرت آشيلى : « العائلة المالكة أيضا قامت ببناء قصورهم هنا . لابد وأن القصر الذى هناك هو القصر الوطنى » .

قال سايمون : « المكان السادس» ولم يكن مصغيا . وأضاف : «حضرت منذ ستة شهور وأحرزت أول نقط البطولة ! » وأضاف : « لو تقبل عرضى بتذكرة طيران لحضور مسابقات الجائزة الأولى الأخرى كلها » .

آشيلى : « هذا أمر ممكن بالنسبة لى لآخذ أجازة من عملى » .

وأضافت بينها وبين نفسها إنه لم يكن لديها أى ميل لذلك ، ولأنه كرر الدعوة جعلها تظن أن الشاب يحتاج إلى مساندة شخص مألوف له مما دفعها لأن توافق على الذهاب إلى لشبونة . . ولأنها تحتاج إلى فترة راحة بعد عمل صيفى شاق» .

سايمون : « فيتور جاء ترتيبه الثالث ولولا عطل سيارته بسبب مشكلة الوقود لكان الأول» .

وأضاف : « لكننى سأهزم ذلك الوغد قبل إنتهاء الموسم » .

آشيلى : « أنت لست متورط فى عملية إنتقام » .

ووصلا إلى منزل عائلة داركوس وكان فيلا من القرن التاسع عشر ، محاطة بشجر الليمون وشجيرات متناثرة . وتقع فوق مدينة سماها لورد بيرون ذات مرة

بـ «عدن المجيدة» . حيث استقبلتهما عند الباب الأمامى سيدة مبتسمة وشعرها فضى ورحبت بهما . « أنا مارجريدا داركوس» وأشارت إليهما إلى الداخل ، وأضافت : «وأنتما؟»

ـ « سا يمون كوبر » .

السيدة المسنة : « آه ، أنت الذى وصلت إلى النقطة السادسة أمس ، لقد شاهدتك على شاشة التليفزيون وأنت تتسابق بصورة رائعة . تهانئى » .

قال : « أشكرك» .

آشيلى : « أنا آشيلى فليمنج» .

وقبلت مارجريدا الزهور منها .

السيدة : «فهمت أنك تتكلمين البرتغالية مثل أى وطنية » .

آشيلى : « أود ذلك لو استطعت » .

جاء فيتور ، وأسرعت ضربات قلب آشيلى .

قالت : «المشكلة مع الوقود أمس كان حظاً سيئاً » .

قال فيتور : « ذاك الوقت أردت أن أبكى أو أقتل شخصا ، لكن الآن كل ما استطيعه هو الإنتظار للمرة القادمة . وآمل أن زميلى فى الفريق وهوهنا ألا يقرر تدميرى ويستحوذ على المجد كله لنفسه » .

سايمون : «لدى المجد . لسوء الحظ يجب علينا الرحيل فى الثالثة . الميكانيكيون يفككون سيارتى ولابد أن أكون هناك » .

مارجريدا : « ترحلا فى الثالثة . أمتأكدان من أنه لا ضرورة لرحيلكما الآن؟ لو رتبت إنتقالكما فهل يمكنهما الرحيل إلى لشبونة فيما بعد ؟ » .

آشيلى : «ممكن . أشكرك » .

ابتسمت مضيفتهما وقالت : « إنضما للآخرين » .

وأوصلتهما مارجريدا إلى مكان تجمع الضيوف وسألت آشيلى : «هل زرت سنترا من قبل ؟ »

آشيلى : « أبدا ، ولكننى قرأت عنها فى التاريخ » .

وأخذت تقص مارجريدا حكاية من التاريخ مما جعل سايمون يزداد قلقاً ، لكنه أحسن أن هنا من يستطيع مناقشة فوه أمس .

استمرت مارجريدا فى سرد القصة التاريخية وقالت لآشيلى : « يجب أن

تزورى قصر الملك » .

آشيلى : « كنت أود ذلك لكن رحلة الطيران أول رحلة فى الصباح » .

مارجريدا : « حينئذ ، يجب أن تحضرى إلى سنترا الربيع القادم وتمكثين معى وسنذهب سويا» .

ثم اتجهت حملقتها إلى فيتور الذى كان يتحدث مع الضيوف .

وعندما انتبهت مارجريدا إلى نشاط الطاهى واعداد الوليمة إستأذنت : « لابد أن أذهب يا عزيزتى » .

وتم الإعلان عن إعداد طعام الغذاء ، بعد قليل .

آشيلى بعدما فرغت والضيوف من تناول الطعام قالت لسايمون :

« ربما وافقت أن أظل هادئة حيال كيفية معرفة بعضنا البعض ، لكننى لا أوافق على أن تظهر علاقتنا على أنها علاقة غرامية . ليس لدى فكرة عما تقوله ، لكن الإنطباع العام هنا . . . » .

قاطعها سايمون قائلاً :

« لم أقل أى شىء ، أقصد أنه من الواضح أن الناس من شأنها أن تصل إلى تلك النتيجة » .

آشيلى : « أهكذا ؟ أنا أظهر فى مناسبات عديدة ، لذلك لماذا لايظنون أننى مجرد صديقة للعائلة ؟ » .

سايمون : « وما الخطأ فى اعتبارك بمثابة فتاتى ؟» .

آشيلى : « لا شىء سوى أننى لست بفتاتك . لو عرف الناس أننا تقابلنا لأن والدى سانداك عندما كنت صغيرا ، فلن يظنوا فيك أنك أقل مما أنت فيه . على العكس ، فإنهم سيعجبون بك تماماً لنجاحك الذى تحرزه فى حياتك» .

سايمون : « أنظرى ، إلى الآن هناك فى الجرائد يذكروننى كخبر عادى ، ولكننى عندما أكون مشهورا فإن اهتمام الصحافة بى سيزداد . ولو اكتشفت الصحافة أننى قضيت معظم الطفولة فى رعاية آخرين فإن الصحفيين قد يقومون بإجراء تحقيقات صحفية ويحولون الموضوع إلى شىء ضخم » .

تنهدت آشيلى وقالت : « وهوكذلك ، لن أقول شيئاً . لكننى سأكون ملتزمة لو أوضحت لزملائك من الفريق أنك وأنا مجرد صديقين جيدين!» .

نظر سايمون إلى ساعته وكانت الثالثة حيث قال : « يمكن أن أتأخر ، لكن

بمجرد أن أفرغ من العمل سأحضر إلى فندقك » .

آشيل : « ليس هناك وقت ، يجب أن أكون بالمطار قبل السادسة صباحاً ، لذلك سأخلد إلى النوم مبكراً » .

سايمون : « متى أراك ثانية ؟ هناك سباقان آخران فى هذا الموسم ، واحد فى . . . »

قاطعته آشيل قائلة :

« آسفة ، فأنا مرتبطة بالنسبة للشهرين القادمين برحلات عمل طويلة . سألحق بك فى وقت ما عندما تعود إلى إنجلترا » .

وبعدما ذهب تجاذبت آشيل أطراف الحديث مع العديد من الضيوف ، وعلمت الكثير عن التاريخ المحلى من مارجريدا . ظلت تراقب فيتور وهو مع الضيوف ومركزاً يديه عندما يوضح فكرة .

ثم بدأ الناس يرحلون فى الموعد . وانتظرت آشيل ليتم إخبارهابمن سيقوم بمرافقتها لكن لم يخبرها أحد بذلك .

وعند إنصراف آخر مجموعة من الضيوف ، أخبرتها مارجريدا : « فيتور سيقوم بتوصيلك » .

آشيل : « هل هو؟» .

فيتور : « أنا ؟ لا أعرف ذلك» قال هذا وهو مندهش .

مارجريدا : « فندق آشيل فى جزء مختلف عن المدينة وما من أحد يصل إلى هناك ، وأنت عائد إلى شقتك» .

إندهشت آشيل ، ولم يعتريها الفرح الزائد كما لو كان بمثابة السائق الخاص لها !

آشيل : «يمكننى أتصل بإحدى التاكسيات هاتفياً » وانصرف آخر الضيوف حيث كانت ومضيفتها وفيتور واقفين استعدادا لتوصيلها .

مارجريدا : «فيتور سعيد بتوصيلك» وقبّلت آشيل على خديها ، وأضافت : «وأنا مسرورة بلقائك ولا ننسى ما قلته بشأن الربيع» .

آشيل : « لن أنس» .

مارجريدا : « بدلا من الذهاب مباشرة إلى الفندق ، لماذا لا تذهبا إلى التلال وتجعل آشيل تشاهد المنظر؟ » أومأ فيتور برأسه وهويقوم بتشغيل السيارة

السوزوكى .

آشيل : « أنا آسفة لأننى أثقلت عليك بتوصيل » .

فيتور : « لايهم » .

آشيل : « كاذب » .

رمقها فيتور بنظرة سريعة وقال : «أخبرت والدتى ولسوف آخذك لتشاهدى المنظر » . وكان صوته ينم عن التحضر لكنه مشدود بنفاد الصبر .

آشيل : «هذا يرجع لاختيارك» .

واتجها صوب التل . صعدت السيارة السوزوكى جانب التل حتى وصلا إلى هضبة بها حشائش حيث تبدو أنها أعلى قمة فى العالم .

فيتور : « مضت سنوات منذ صعدت إلى هنا آخر مرة . ولكنه وفق ما أتذكر هناك نقطة أفضل جداً على بعد ميل آخر » .

حدث فجأة شبه عطل فى السيارة .

آشيل : «هل هناك مشكلة ؟» .

أبطأت السيارة ثم توقفت .

نظر إليها فيتور وقال : « لقد نفذ وقود السيارة » .

تضايقت آشيل حيث كانت تريد العودة إلى الفندق وتبتعد عنه . والآن جعلها معزولين عن العالم . ولاحظت آشيل قائلة : « هذه ثانى مرة فى يومين ينفد منك البنزين » .

فيتور : « هل تظنين أننى فعلت هذا عن عمد ؟ »

قالت : « لا » ولكننى أظن أن معظم الناس تتأكد من أن سياراتها لديها بنزين كاف قبل أن تبدأ رحلتها ، وهذا أمر من الإحتياط الواجب » .

قال : « إننى فى السباق الأول كانت نسبه تسعين بالمائة من طاقتى وتفكيرى ووعيى قد خصصتها للسباق » .

أضاف : « ونسبة العشرة بالمائة الباقية خصصتها لشركة المبانى التى أمتلكها» .

آشيل : « هل تمتلك شركة مبانى ؟

قال : « نعم . لقد دخلت مجال السباق بعدما تخرجت كمهندس وحصلت على درجة علمية فى الأعمال . »

آشيل : « هل تمتلك شركة مبانى ؟ »

قال : « نعم . لقد دخلت مجال السباق بعدما تخرجت كمهندس وحصلت على درجة علمية فى الأعمال . »

آشيل : « هل تخرجت دراسيا من لشبونه ؟ »

قال : « درست الهندسة هنا . ثم ذهبت إلى الولايات المتحدة لأحصل على الدرجة فى الأعمال ، لذا هل من الاندهاش لو شىء مثل موقف الحاجة إلى بترول حدث من شأنه أن يصرف انتباهى ؟ »

آشيل : « أين أقرب جراج »

فيتور : « على الجانب الآخر من التل على بعد ميلين تقريبا »

خرجت آشيل من السيارة ، وقالت : « دعنا نذهب »

فيتور : « هل تنوين المجيىء معى ؟ » .

آشيل : « يبدو أنه من الأفضل الجلوس هنا وحين لا أعرف كم أمكث هنا فإن وقتى يضيع سدى » .

فيتور : ستتلقين صندلك ، . حذرها من ذلك .

آشيل : « سأجرب حظى »

فيتور : « ربما تمطر الدنيا ويبتل شعرك . »

آشيل : « لو أمطرت الدنيا ، فلن تستمر طويلا . »

سارا مالا يقل عن عشر دقائق عندما بدأت الدنيا تمطر رذاذا .

فيتور : « هل تودين العودة ثانية ؟ »

آشيل : « لا ، شكرا » .

إستمرا فى المسير ، وصار لمطر أشد .

فيتور : « النشرة الجوية تظهر فى غير صفك . »

آشيل : « إنها مجرد وش . »

فيتور : « ربما ، ولكن هذا لا يروق لى . هناك مخزن أقترح أن نذهب إليه لنتخذه مأوى . »

وتبعت آشيل ما أشار به فيتور وكان بمثابة أمر .

قالت : « فكرة جيدة . »

وكان المخزن من الخشب وسط شجيرات صفراء .

قالت : « ممكن أن تمسك بيدى ؟ » ومد يده عندما وجد خطواتها غير معتدلة وهى تتقدم . وكانت تفضل أن تتقدم بمفردها .

قالت : « لو سمحت » .

وأمسكت بيده مما جعلها تعتدل فى مشيتها .

وقالت وهما يهمان بدخول المخزن : « أشكرك » .

قال : « إلى متى أظل أقاوم المحتوم ؟ »

قالت : « ماذا تعنى ؟»

قال : « لماذا تظنين إننى أتجنبك طوال اليوم ؟» .

وأضاف : ولماذا تظنين ذلك الإرتعاش ؟ » .

وفجأة زال غضبه وأضاف بصوت منخفض :« وأول مرة شاهدتك فيها عرفت أن ... وأنت عرفت أن ... أيضا ، أليس كذلك ؟ »

***

الفصل الرابع

حملقت آشيلى فى عينيه البنيتين اللتين تطلقان رسائل وتخبراها بكل شىء كانت تشتاق لسماعه .

قالت : « نعم »

قال : « أنت ساحرة . ساحرة . . جميلة » .

توقف المطر ، ثم وقفت آشيلى على باب المخزن لتستنشق الهواء برائحته الحلوة ، وراحت تحملق فيمن حولها ، الحشائش مبلله والشجيرات لامعه من أثر قطرات المطر التى تشبه الماس . كان هناك على بعد قوس قزح بألوانه المتنوعة . وأطلقت تنهيدة خفيفة . ثم حركت آشيلى رأسها لأنها سمعت صوت محرك ، أهذا صوت محرك السيارة السوزوكى ؟ نعم . عندما اقترب صوت المحرك خرجت آشيلى عبر الحشائش وظهرت السيارة فجأة واقتربت ثم توقفت .

وقالت : « شكرات لقد كنت حاضرة للقائل . » عندما فتح باب السيارة لها .

قال : « لم أكن أظن أن صندلك غير مناسب للمهمة . » وأشار بإصبعه لتركب السيارة . ثم حرك السيارة وسارا فى صمت . لم يكن يشعر بأنه يود أن يتكلم ، ورمقته بنظرة . فيم كان يفكر ؟

نظرت آشيلى إليه ثانية ، هل يفكر فى فتاته المودبل ؟ هل كان يفكر فى إنهاء علاقتهما ؟ هل كان قلقا بشأن رد فعل الفتاة البرتغالية ؟ كان التعبير عن رد فعلها بصورة سيئة . لقد كانا معا لسنوات وكانت شغوفة به حبا .

فإذا كان يتصور أنها تريده أن يتخذ مع كليست موقفا فهو مخطىء . آشيلى راضية أن يأخذ وقته إزاء ذلك وبصورة رقيقة .

آشيلى : « وماذا عن فترة بعد ظهر اليوم ؟ »

فيتور : « لا يمكننى الانخراط فى أى شىء الآن . أنا آسف ، ولكن هذا مستحيل . أتفهمينى ؟ » لم تندهش حيال كلماته تلك . أكدت له : « نعم ، نعم ، أفهم ذلك » ثم ركز انتباهه على الطريق وجلست آشيلى دون حراك ، وتمزقت سعادتها . إن ما فهمته هو أنها أساءت تقدير الموقف . إنها ليست هى كليست التى تساءل فيتور كيف يتخلص منها وانما هى التى يريد التخلص منها! إن كل ما عرفه عندما تقابلا أول مرة كانت الرغبة ، مجرد الرغبة . إحمرت وجنتاها عندما تذكرت ذلك . فإن سنوات العزوبية جعلها متشككة جدا

كانت النساء تعرض أنفسهن عليه لذلك إعتبرها واحدة من تلك المجموعة إلا أنها لم تكن كذلك ، هل لأنها لم تدعه يمارس الجنس معها إلا بعد لقاءات ، عندما عرفا بالكاد بعضهما البعض ؟ كيف أمكنها أن تتغير وتكون طائشة هكذا وحمقاء جدا ، وتفعل شيئا خطيرا كالذى فعلته ؟ إنطلق الألم فى جمجمتها . لم يكن الأمر كذلك بالنسبة لها ، فالعاطفة يشترك فيها القلب والجسد والعقل . تورط قلبى ؟ وضحكت آشيلى فى سرها . هناك سبيل واحد لشرح أحداث بعد ظهر اليوم ـ بمثابة مصيبة . استمرت رحلتهما آشيلى تنتظر أن تنفرج أساريره لكنه ظل صامتا وكئيبا . وتساءلت لما لا تدعه يخرج من المصيدة هذه ؟ وصل إلى شوارع لشبونه عندما تبادر لذهنها أنه ربما يكون قلقا حيال كيفية تصرفها عندما يأتى وقت فراقهما .

قالت : « وماذا بعد ظهر اليوم ؟ » قالت آشيلى ثانية عندما وصلا إلى خارج

فندقها ، وابتسمت بمرح . وأضافت : « ويمكننا أن نجعل هذه الفترة لا أهمية لها ، أيضا . » ، كان آشيلى على وشك أن يقول شيئا ولكنه أطبق فمه ثانية . . ثم تحدث أخيرا .

قال : « أإنك تقولين إننا يجب أن ننسى الأمر ؟ »

قالت : « نعم ، قلت » ونزلت من السيارة واتجهت إلى الفندق دون أن تنظر خلفها . وانطلقت السيارات المتسابقة هناك فى مسار السباق ، ثم ساد الصمت. وخلعت جاكتتها وأخذت تشاهد السباق على شاشة التليفزيون . وتنهدت حيث إنها لم تشاهد سباق سيارات منذ ستة أسابيع ، وقد صممت على عدم مشاهدة أى سباق . لكن القدر جعلها تشاهد الآن السباق الأسترالى .

عند وصولها إلى أدلايد للتفاوض بشأن مشروع مشترك مع شركة نسيج لم تكن تدرك أن آخر سباق فى الموسم سيتم هنا خلال إقامتها ، فكرت فى هذا آشيلى ، وتأكدت من الصحف . جاءت من نصف الكرة لتجد نفسها فى نفس المدينة التى يوجد بها فيتور داركوس ، حيث ألقت نظرها على أى مقالات عنه ، وعندما قلبت صفحة وجدت مقالة لم تستطع تجاهلها حيث أوضحت أنهما مجرد صديقين ، وجاء بالمقال على لسان فيتور عنها : « فتاتى آشيلى فيلمنج ، مديرة شركة تجارية ، وهذا يجعلها لا تستطيع أن تكون معى فى السباق ، ولكنه عندما نلتقى فإن هذا يستحق إنفاق الوقت ، وكان بالمقال صورة شقيقها مما يضفى التأكيد على كلامه

قال سايمون : « إن هذا لا يهمك و لا يشغلك ، قالل هذا أمس عندما أبدت اعتراضاتها بصورة غاضبة .

قالت وهى تؤنبه : « لم تكن تظن أننى سأكتشف المقال ! »

إبتسم ابتسامة تملق وقال : « إنها مجرد صحيفة محلية . »

احتجت آشيلى قائلة : « لكنه مع تواجد نصف صحافة العالم الرياضية فى المدينة فإن فكرة أننا ثنائى يمكن أن يلتقطها صحفيون آخرون ويصبح الأمر معروفا » .

سايمون : « أهذا قدر أسوأ من الموت ؟ » .

قالت : « لا ، ليس بالضبط ، ولكن » . . .

سايمون : « ما كنت قمت بهذه الضجة لو قبل أنك فتاة فيتور . و

قطبت آشيلى عن جبينها . وتجمع بعد المنافسة حافز هائل من البيانات والتخمينات والاعترافات وانتهت باستخدام شقيقها وهو شىء جرىء ، و تأسف له الآن .

والآن ، ماذا تفعل هنا اليوم ؟ تساءلت آشيلى . فلماذا بالضبط حضرت ؟ ربما تنزع آشلى من سايمون عهدا بلو أنها حضرت كما يرغب فإن المظهر بأنها فتاته سينتهى تماما ، ولكن هذا ، هل هو السبب برمته ؟ وجدت فى الحقيقة أن مشاهدة السباق أمر ممل خاصة عدم وجود أحد لتتحدث معه . هل تأمل فى أن سايمون سيخطر فيتور بوجودها ، وربما يبحث عنها ، ويفسر أنه فكر ثانية ويعلن حبه الخالد ؟ ابتسمت آشلى ابتسامة باردة . الفكرة هذه تنتمى لعالم الأوهام . إنه بعد ستة أسابيع من الصمت فإن فرص أن يعيد حبيبها التفكير صفر .

أدركت فجأة أن كل واحد حولها كان يحملق فى أجهزة التليفزيون

وعندما نظرت آشيلى إلى أعلى شاهدت فوضى ، سيارة سباق مهشمة وحطمت حاجز الأمان وحطمت جدار وتسببت فى جعل بعض السيارات تدور فى حركة دائرية من التصادم . كان الجو مليئا بالأحجار المتناثرة ، وأجزاء من المعدن وغبار يملأ المكان وهو أمر يجعل غير ممكن رؤية علامات السيارة المحطمة على مسار السباق إلا أنها تشبه جدا سيارات فريق بالجتى .

أمسكت برقبتها وهى حزينة . هل يمكن أن يكون سايمون فى منطقة الحادث ... أو فيتور ؟ كان معلق التليفزيون يصف المأساة ، ولو أنها حاولت الإستماع إلاّ أنها لم تستطع إلتقاط إسم الضحية .

صرخ المعلق التليفزيونى قائلا : « فيتور داركوس ذاهب لمساعدة زميله فى

الفريق » وتأكدت آشيلى من أن ذلك الشخص الذى بالعربة المحطمة كان سايمون . وصل فيتور إلى السيارة ورفع سايمون ، لكن الشاسية كان ملتويا .

وقالت المرأة التى بجوار آشيلى : « إن فيتور يحاول استخراج السائق قبل أن ينفجر الوقود . »

إزدادت اللهب فى السيارة التى أحاطت بقدمية وظهر سائقان آخران وأمسكا بذراعه وأبعداه عن السيارة . ثم ظهر آخرون فى اللحظة التالية ، رجال الإطفاء ، وهم يطفئون النار . بدا كل شىء وكأنه حدث بالتصوير البطىء إلاّ إن الحادث برمته قد استغرق ثوان .

« وصلت عربة الإسعاف » قالت المرأة التى بجوارها حيث أخذت آشيلى جاكتتها ونهضت واندفعت للخارج وهى تجرى . ولأنها لا تريد الإلتقاء مع كليست ثانية جلست مع العامة بعيدا عن المقاعد الخاصة . غادرت عربة الإسعاف المنطقة . لابد وأن إصابته خطيرة ، وسوف يحتاج إليها . وظلت آشيلى تجرى لدرجة أنها شعرت بأن رئتيها كما لو كانت تتفجران ، وأخيرا وصلت إلى البوابات المزدوجة .

« يجب أن أدخل » ، قالت أشيلى وفتح رجل الأمن البوابات واندفعت دون أن تبالى بالرجل .

صمت آشيلى آذانها لصراخ رجل الأمن وجرت نحو طريق الخدمات . أين ستذهب ؟ تساءلت ، ولمحت مخازن الإطارات ، ومخازن الوقود والورش والجراجات ، سيارات واقفة ، وخطائر السيارات . وتحركت سيارة الإسعاف إلى مسافة ثم توقفت بجوار مهبط الطائرة الهليكوبتر المنتظرة وتم نقل سايمون بالنقالة إلى الطائرة وارتفعت إلى الجو .

توقفت آشيلى وصرخت : « لا ! »

كانت تريد أن تعرف إلى أين ستأخذه الطائرة ، وكان يقف بجوار مهبط الطائرة مجموعة من الناس متجمعه حيث اتجهت نحوهم . واقتربت منهم

وشاهدت من بينهم ميكانيكية ومسئولى السباق وعدد من السائقين كان منهم فيتور واقفا مع مدير الفريق الذى قابلته من قبل . جحظت عيناها فى فزع . لابد وأنه أصيب وهو يحاول إخراج سايمون ، لأن الدم كان ينساب من أحد جانبى وجهه . ونظرت حولها بحثا عن كليست لكن دون جدوى ، لم تشاهدها . أين هى ؟ تساءلت آشيلى ، من المؤكد أن هذا هو الوقت للصديقة لأن تعطى فيتور كل مساندتها ؟

عندما اقتربت نظر إليها مدير الفريق

قال المدير : « فعل فيتور كل ما فى وسعه ولكنه للأسف كان قد فات الأوان » ، وأسرع ليضع ذراعه حول كتفيها .

آشيلى : « فات الأوان ؟ » و وسرت رجفة فيها ودارت رأسها وسألت : « هل ... مات سايمون ؟ » .

قال المدير : « أخشى ذلك . العزاء الوحيد أنه لم يشعر بشىء . سأحضر بسيارتى لأوصلك إلى فندقك . سوف تتصلين بأسرته وهناك أمور يجب ترتيبها ـ بيانات للصحافة وهكذا ـ لكنك كونى واثقة من أن فريق ويلجتى سيقدم كل مساندة ممكنة . »

آشيلى : « أشكرك »

والتفت الرجل إلى فيتور قائلا : « هناك طائرة هليكوبتر أخرى ستحضر لك فى أى لحظة ولكن لماذا لا تذهب وتنتظرها فى سيارتك حتى تصل ؟ »

أومأ فيتور برأسه ، ثم اتجه ليمسك بذراع آشيلى .

فيتور : « إحضرى معى »

مهما حدث فى الماضى فلم يكن هذا بوقت التحفظ ، فكرت آشيلى فى هذا ، وسمحت له يقودها بعيدا . هذا هو وقت تقديم المواساة للإثنين

سألته آشيلى : « هل تود أن أغسل وجهك ؟ »

تحسس فيتور وجهه وقال : « هذه الإصابة لا شىء . » ونظر إلى الدم على أصابعه وأشار عليها أن تضع بلاستر على الجرح .

و سألها : « هل أدركت ما حدث هناك ؟ »

نظرت إليه آشيلى وكانت عيناه تشعان غضبا . وكان هذا هو رد فعل منطقى فى هذه الظروف ، ظنت هى ذلك ، ولو أنها شعرت شخصيا كما لو أن أحدا حقن عقلها بمحلول الشلل .

قالت : « لم ذلك بالضبط . لم أكن أشاهد الأمر عن قربه . »

قال : « حاول سايمون إجتيازى لكنه فقد السيطرة تماما على السيارة . وكان الفرق بين السيارات بسيطا جدا وكان يقود بسرعة فائقة وكان لديه سبب واحد بالنسبة له ليقوم بتلك المناورة الغبية ـ لم يكن يركز . هل تتذكرى عندما أخبرتك كيف يكون التركيز أمرا هاما للسائق ؟ »

أومأت آشيلى برأسها . وأضاف قائلا :

« كيف تبعتيه إلى أديلايد وقبل يوم السباق تعلنين أنك حامل ؟» سايمون قطع الثقة أمس ؟ أخبر فيتور بأن هناك إمكانية أنها قد تكون حاملا فى ابنه ؟ لماذا كانت صريحة إلى هذه الدرجة من الصراحة الحمقاء ؟ تساءلت آشيلى وهى تلعن نفسها . عرفت أن أخيها لا يعول عليه . ولا عجب أن فيتور كان ثائرا . لم يحسب أن اتصالها يأتى بمثل تلك النتيجه ويلومها لفشلها فى إتخاذ الإحتياطات .

حسن ، هناك اثنان منهما متورطان ، وليس هذا إنصاف ، لكنه شعر بأنه وقع فى الشرك ... والمصيدة .

قالت : « هل أخبرك ؟ »

قال « نعم ، أخبرنى . »

قالت : « ما من شىء مؤكد بعد . وربما يكون ذلك الأمر زائفا . »

قال : « لابد وأنه تبادر إلى ذهنك قبل أن تلقين بقنبلتك التى صرفت إنتباه سايمون » وبدأ فيتور يذرع المكان جيئة وذهابا مثل نمر محبوس فى القفص ، والقفص صغير .

وأضاف : « لابد وأنك أدركت أنه عندما استدعيتيه إلى فندقك لأن تقطعى الأخبار »

قالت : « إنك أخطأت . كبداية ، لم أقم باستدعائه إلى الفندق ، ولم أتبعه إلى أديلايد . كانت هذه ملحوظة لتصحيح الخطأ بأسرع ما تستطيع .

وأضافت :

« تكلمت معه هاتفيا لأشكو له وضع إسمى فى المقال ، حتى أنه أعطى الصحفى صورة »

قاطعها بحدة : « لقد كنت جالسة على ركبته وذراعك حول رقبته وتضحكين ؟ لقد شاهدت ذلك » .

قالت : « آه» . وقطبت جبينها . تلك المقاطعة فى الكلام صدمت أفكارها . وأضافت : «لم أستدع سايمون» . و عادت تقول : « لقد إتصلت به هاتفيا ـ أعطانى قائمة أرقام المتسابقين ـ لكنه عندما جاء إلى فندقى صباح اليوم التالى كان بناء على موافقته هو » :

قال : « وأنت أكنت مندهشة ؟ »

قالت : « نعم . لم أتوقعه يحضر . »

إضافة إلى هذا التوضيح لقد كانت آشيلى فى استراليا لإجراء أعمال تجارية .

فيتور : « كان شخصا غريبا عند تتصل به فتاته وتخبره بأنه سيكون أبا ، يفشل فى متابعة ذلك . كان ذلك السباق الأخير فى الموسم ، وكان كل ما هو الانتظار يوم واحد ، تنتظر أربعا وعشرين ساعة وسيأتى الولد إلى المنزل متحفظا» .

جحظت عيناها . لم يفكر فيتور فى أنها ربما تكون حاملا منه ، أدركت آشيلى ذلك . اعتقد أن سايمون هو الذى جعلها فى تلك الحالة !

إحتجت : « أنت مخطىء . أنا لم أخبر سايمون بأنه سيكون أبا . أنا »

إن المعلومات أخيها لابد وأن يتم تبديدها لأنها معلومات خاطئة ، ولكنها

ماذا تقول ؟ لكن هذه لم تكن لحظة مناسبة لتشرع فى شرح المضاعفات الممكنة من ممارستها الجنس ـ خاصة وأن تفكيرها كان صعبا .

فيتور : « لا تحاولى أن تجدى مخلاصا من هذا الأمر » .

نظرت آشيلى إلى وجهه الممزق والدم المنساب فى خطوط حتى رقبته ووصلت إلى ياقة الأوفرول . من المؤكد أن إصاباته لا بد أنها تؤلم ؟ ألم يشعر بألم ؟

قالت : « أنا لا أحاول الخروج من هذا الأمر . »

قال : « الحقيقة أن سايمون يعبد الأرض التى تسيرين فوقها وهذا يعنى أنك متأكدة مائة بالمائة أنه عندما أخبرتيه فقد أصر على الزواج منك فما الفرق الذى خلفه ذلك اليوم بالنسبة لك ؟ لا شىء ! »

قالت : « هل سايمون قال إنه سيتزوجنى ؟ »

فكرت آشيلى فى أن شقيقها قد نسج حكاية من عالمه .

وأضاف قائلا : « نعم أخبرنى . إن اخبارك له بأنك حامل فى ذلك الوقت هو قمة الأنانية . هذا أمر قاسى وخسيس . ولو لم يكن سايمون ذهنه مشغول ما كان قد ارتكب ذلك الخطأ المميت . »

هناك صوت رجل من الفريق يقول : « هل مستعدان للذهاب ، كلاكما ؟ »

فيتور : « نحن قادمان »

حملقت آشيلى فيه وهى تفكر .

وقالت : « هل تتهمنى بقتل سايمون . أنت مخطىء . فأنا لم أبدد فكره ، أنا »

قال : « لا تتنصلى ، لن أتحدث إلى الصحافة بشأن هذا الأمر . ولا لأى أحد آخر . وما الفكرة ؟ موت الرجل لن يغير شيئا . ولا تنسى على أية حال أننى أعرف من المسئول » .

وكانت أسنانه تضغط على شفتيه من الحنق .

لم تنس آشيلى ـ الاتهام غير العادل من جانب فيتور داركوس .

***

الفصل الخامس

إنه فى صباح اليوم التالى لزيارة فيتور لمنزل آشيلى قامت بالإتصال بالسلطات المحلية للإستفسار على ترخيص عملها . نصحها المختص أن الطلب الذى قدمته للأسف قد أهمل . وقد تم العثور عليه والترخيص سوف يكون معها قريبا . لكنه بعد بضعة أيام عندما وصل خطاب التأكيد من فيتور وقد تم الرد عليه برفض يتسم بالأدب ، بدأت تقلق ثانية .

هل لأنه أحبط فى أهدافه هل سيشغلها فى مباراة خطابية أخرى ؟ لو كان هذا هو الأمر ، فإن موقفها لابد وأن يكون خفيفا وواضحا ولكنه قاطع ، هذا ما قررته آشيلى . أم أنه ربما يفكر فى توماس بصورة أكبر ويعود لمدة وجيزة لينظر إلى وجهه من قرب ؟ لكنها بدأت تستريح بعد شهر حيث لم يظهر فيتور ثانية . تعرف على أن عملها التجارى لم يمثل عقبة مثلما تصور فى أول الأمر وتخلى عن طلبه . ولا أى أجراس إنذار دقت بشأن توماس . الحمد لله تعالى .

ولو أن صاحب شركة البناء إستمر فى البقاء بعيدا ، إلا أنه بعد يوم أو إثنين وصلت عصابة من عماله إلى الأرض التى تحيط بمنزلها . عندما قابلوها وتوماس بود بدأوا بنشاط من أجل العمل فى تنظيفها . وجدوا تحت الشجيرات مجموعة من علب الدهان الفارغة وقطع خشبية قديمة وأثاث مهمل وما شابه ذلك . لم تعرف آشيلى أن الأنقاض موجودة وراقبت فى دهشة .

عندما عادت من الشاطىء مع توماس فى وقت متأخر من بعد ظهر أحد الأيام كانت هناك ورقة فى صندوق خطاباتها . إلتقطتها آشلى واعتراها القلق فجأة هل جاء فيتور وهذه ربما تكون مذكره يخطرها بعودته ؟ هل تعود إلى أمان الشاطىء ثانية ؟ لكن الورقة هى بطاقة تسليم . كانت على وشك رسم مشهد شلال يزين جانب حمام سباحة لمجمع سكنى فى برايا دو كارفوبيرو والقرميد الخاص بتشكيل قاعدة الصورة . نظرت آشيلى حولها لكنها لم تشاهد شيئاً .

لا يهم . ربما يأتى القرميد بعد العشاء عندما يدخل توماس السرير . عندما انخفضت درجة حرارة الجو بحثت آشيلى حول المنزل ، هنا وهناك ، لكن مما من أثر لوصول الرسالة ، وانتابها شىء من الإحباط ـ لقد استغرق القرميد شهرا لأن يصل ، ولو طلبت بدلا منها فإن ذلك يستغرق أربعة شهور أخرى ، وهذا معناه تأخر العمولة . وصبت آشيلى لعناتها حيال ذلك الأمر .

هناك على الجانب الآخر من الطريق أمام المنزل موقع بناء اتجهت إليه آشلى وأخذت تنظر حولها ، وصعدت على سقالة البنائين حتى يتسنى لها رؤية ما بأسفل الموقع . ولمحت من بين الموجودات طردا مغلفا . وأبدت علامة الفرجح ، إريكا ! فربما وجدت القرميد ولكنه عليها الآن استرداده . لكن هناك لوحا خشبيا ثقيلا وعليها إبعاده ، وعندما أمسكت به خدش مسمار إبهامها . إلاّ أنها حاولت مرة ثانية باحتراس . وكانت توجد قطع خشبية ثقيلة محشورة وعليها إبعادها . واستمرت فى العمل حتى تصببت عرقا . لكن الأخشاب ظلت ثابته . ثم تفحصت الموقف فوجد أنه لو قبضت على الطرد بيدها ربما ترفعه من بين الخشب وتحصل عليه ؟

إحتفظت آشيلى بتوازنها على السقالة ويديها ممدودتان إلى أسفل ومؤخرتها مرفوعه إلى أعلى ولكن ذلك دون أن تصل إلى الطرد ، حيث سمعت صوت باب سيارة يتم غلقه . أدركت أن الشورت الذى ترتديه قصير والوضع الذى تتخذه غير لائق نهضت على الفور وقفزت إلى أسفل الصالة . وعندما استدارت

شاهدت السيارة بى . إم . دبليو وكان سائقها يتجه نحوها ، وكان فيتور داركوس بقميصه الأزق وبدلته دون جاكته كان ممسكا بها على أحد كتفيه العريضين .

قال : « مساء الخير »

مما لا شك فيه أن فيتور كان مسرورا من منظرها الذى كانت عليه .

قالت : « مساء الخير » وهى تمسح يديها على الشورت .

قال : « باكر سأذهب وألقى نظرة على بعض قطع أرض للبناء يعتبرها باولو أنها صفقة جيدة . لذلك وصلت إلى كارفيرو منذ ساعة وحجزت فى فندقى . وحيث أن الأمسية رائعة فكرت فى أن أتجول وأقابلك » .

قالت : لتقول إنك غيرت رأيك بشأن ورشتى المسببة للفوضى ؟ » .

قال : : « لا . وأعتقد أنها ستكون هدفى ومازالت هدفى لأقنعك ببيعها » .

قالت : « أهو إقناع كما فى « مهاجمتى للخضوع » ؟ » تساءلت بابتسام .

قال : إنه إقناع « فى أى صوره تتراءى لك » .

نظر فيتور إلى الشغالة وتساءل : « هل كنت تنظفين المكان ؟ »

قالت : « كنت أحاول إسترداد ممتلكاتى . هل ترى الطرد المستطيل ؟ إنه يحتوين على قرميد . منذ نصف ساعة تقريبا كنت أحاول استخراجه ، لكن هذا مستحيل ،

قال : « إمسكى هذه » . ومد يده الممسكة بالجاكيت . وأخذ يرفع الأخشاب بذراعين قويتين . ثم عاد إليها قائلا :

« تفضلى الطرد . » ثم أخذ جاكته منها .

قالت : « كيف نجحت فى هذا ؟ تساءلت وهى مندهشة .

قال : وكنت أقوم برفع الأثقال ـ أو اعتدت على ذلك . إلاّ أننى لم أمارس الرياضة البدنية منذ مدة . » وأضاف : « ماذا كان يفعل القرميد هناك ؟ » .

قالت : « ليس لدى أية فكرة . أليست هذه بداية حملة ؟ » .

قال : « حملة ؟ »

قالت : « من الممكن أن تكون قد أخبرت رجالك بمحاولة جعل حياتى صعبه بالنسبة لى بغية أن يحدث لى ضجر وأقبل عرضك . وماذا بعد ذلك ؟ يحدثون أقصى قدر من الضوضاء والغبار والإزعاج ؟ يحفرون الخنادق لجعل الأمر صعبا للخروج بالنسبة لى ؟ ويقطعون فجأة وعن عمد الماء والكهرباء عنى ؟ » .

قال : « ما هذا التفكير الشرير . هل تعتقدين بأمانه أن أكون لدرجة أننى أورط الموظفين عندى فى أعمال قد تدمر سمعة شركتى ؟ »

قالت : « لا » .

قال : « أين القرميد الذى تبدئين به ؟ »

قالت : « لا أعلم . كل ما أعرفه أن القرميد تم تسليمه » .

قال : « لذلك يمكن أن يكون السائق قد تركهم خارج الجدار الأمامى لك ؟ »

قالت : « أظن ذلك . » وأضافت : « ما كان يجب أن أكون ... عدوانية هكذا .

قال : « لا » ما كان يجب . عموما ، أنت التى اقترحتى أن نكون أصدقاء . وهذا يناسبنى جدا . » تساءلت آشيلى عما إذا كان هو قرر محاولة الكلام المعسول معها لإخضاعها ؟ لكنها فى حاجة إلى نيته الحسنة .

سألته : « هل تود مشروبا ؟ » وهى تتذكر أنه يتوجب أن تكون خفيفة وذكية وتتذكر كم توماس فى سريره آمنا .

قال : « أنت كريمة جدا معى هذا المساء » .

قالت : « أظنك فى حاجة لتروى ظمأك » .

قال : « أنا كذلك ، وشكرا . إذا أردت بدء الرسم ، أكون سعيدا أن نتناول الشراب فى ورشتك » .

قالت : « ضاع نصف الماء وأنا مشغولة لذا لاأهتم بالعمل الليلة » .

قال : « أنت محظوظة . حيث إن هناك كومة من الورق يجب قراءتها عندما أعود إلى الفندق » .

وأضاف : « كنت آمل أن أطلع عليهم فى الطائرة »

قالت : « أى طائرة ؟ »

قال : « الطائرة المقلعة من البرازيل . وهبطت فى لشبونة وقت الغذاء . »

آشيلى : « ثم جئت إلى هنا مباشرة ؟ » حيث أدخلته آشيلى إلى المنزل فحجرة الجلوس .

فيتور : « ليس مباشرة . وصلت إلى المكتب أولا لأطلع على المستجدات . »

نظرت آشيلى إلى وجهه فوجدته مرهقا

سألته : « هل نمت فى الطائرة ؟ »

قال : « نمت ساعتين ، لكن الأوراق احتاجت انتباهى ، لذا . . »

قالت : « ماذا تشرب ؟ »

قال : « نبيذ ، يكون رائعا ، شكرا » .

قالت : « هل تقوم بالرحلة إلى البرازيل غالبا ؟

لم تكن هناك إجابة على سؤالها ، وحينما إلتفتت إليه آشيلى وجدت فيتور يغط فى نوم عميق . جلست آشيلى تتأمله فوجدته يشبه جدّا توماس .

وفكرت فى أن أحدا لابد وأن أخبره بأن له إبن . ولكنها لو كشفت الحقيقة فماذا بعد ذلك ؟

هل سيعترف علنا بالولد الصغير ابنًا له أم أنه يفضل تجاهله ؟ هل سيكون راضيا أن يتركها ترعى توماس ويرقب نموه من وقت لآخر أم يتحمل تولى السيطرة على حياة ابنه ؟ وإذا علم أن الطفل يحمل جيناته هل سيجعلها تمتثل أمام المحكمة ويحاول كسب الحضانة ؟ وهل سيفوز فى القضية ؟ إن الأموال التى اكتسبها من سباق السيارات والأموال التى يقوم بكسبها الآن تعنى أنه سيوف

لتوماس فى المستقبل الضمان المالى ومنزلا مريحاً للغاية وتعليما راقيا . إضافة إلى مجموعة نادرة من سيارات اللعب . إذا أخذها فيتور إلى المحكمة فسيكون ذلك فى البرتغال حيث تعتبر أجنبية ويتسنى له كل أنواع الإتصالات . هل تبيع المنزل له وتأخذ أول طائرة إلى انجلترا ؟ هل ستكون هى وتوماس آمنين ؟ كانت هناك أسئلة كثيرة ـ لا تجد إجابات لها كلها : إن إحساسها الدفين بالواجب جعلها تصر على أنه مهما كانت المخاطرات ومهما كانت الأخطار فإنه يجب عليها أن تتكلم . هل هناك خطأ ؟

عند هذا السؤال شاهدت فيتور يستيقظ وهو عابس فى وجهها .

قالت بسرعة : « لا شىء » ، وتوقفت برهة ثم ابتسمت وقالت : « حقيقة كنت أفكر فى توماس . »

جاء فيتورر وجلس بجانبها . وسألها باهتمام : « هل هو مريض ؟ »

قالت مؤكدة : « لا ، لا » إنه بصحة جيدة تماما »

ثم قالت لنفسها وماذا تقول بعد ذلك ؟ حيث خفق قلبها بشدة . هل تعلن مباشرة أم تقترب من الموضوع من زاوية منحرفة مما يشجعه على التخمين ؟ عموما ، لابد وأنه تبادر لذهنه ـ ولو مرة واحدة ـ توقيت ممارستهما الجنس يجعل الأمر ممكنا بالنسبة لأن يكون توماس إبنه ؟

فيتور : « إن عنايتك بالطفل بمفردك لا يمكن أن يكون أمرا سهلا . لابد وأنك تقلقين فى أوقات عديدة »

آشيل : « اقلق فعلا » قالت ذلك موافقة على ماقاله .

فيتور : « وأنت هل قلقة الآن ؟ » .

قالت : « نعم »

قال : « حاولى ألا تقلقى . توماس ولد ذكى وصلب العود . ولا شك عندى أنه سيصاب بكل علل الطفولة ، لكنه سينجو » وابتسم ابتسامة مشجعة .

قالت : « أعرف . وليس هذا ما يقلقنى . إنه . . » وتوقفت عن الكلام

حتى لا تعرض الحياة التى تتقاسمها وتوماس إلى الخطر ، مما يدمر الإستقرار العاطفى للطفل ، ذلك الاستقرار الذى عملت جاهدة لضمانه ، ذلك أنه ربما يأخذ بعيدا عنها .

قال : « تخيل أشياء هو أمر أسوأ بكثير من الحقيقة » .

قالت : « دائما أتخيل ؟ »

قال : « دائما ، يجب أن تبتهجى »

تمنت آشيل ألا يكون فيتور بمثل هذا العطف والرقة الزائدين حتى ولو كان يتملقها لتبيع المنزل له . ورغبت أيضا فيما لو استطاعت أن تؤجل إخباره حتى الصباح الباكر ، أو الأسبوع التالى . أو العام القادم . لكنها لا تستطيع تأجيله إلى الأبد .

قالت : « إنى أحاول »

قال : « حاولى قدر جهدك »

قالت : « بالنسبة لتخيلاتى أنا . . . »

قال : « إنسيها . » وقبلها

قالت : « ولكن »

فيتور : « قلت تناسبها ، وتوقفى عن العبوس وابتسمى » .

فكرت آشيل فى أن فيتور هو نقطة ضعفها ، لكنها لن تكون ضعيفة .

قالت : « لقد تساءلت عن أصدقائى الرجال ذات مرة . أنا صديقة ليف » .

قال : « ليف ؟ » حيث تساءل وهو عابس .

قالت : « إنه شاب دانماركى وسيم يقوم بتركيب المطابخ . وأخبرتك بأن لى شغل معه » وأضافت : « إننا نرى بعضنا ثلاث أو أربع مرات أسبوعيا » .

أخذت آشيل رشفة من الخمر ، وتساءلت : « كيف حال كليست ؟ »

قال : « آخر مرة سمعت عنها أنها بخير » .

قالت : « هل انفصلتما ؟ »

قال : « ألم يخبرك سايمون ؟ »

قالت : « سايمون ؟ هل تعنى أنكما إنفصلتما قبل أن يلقى نحبه ؟ » .

أومأ براسه وقال : « أنهيت العلاقة بعد السباق البرتغالى منذ عامين . » .

رمقته آشيلى بنظرة خلسه ، وقالت :

« لابد وأن كليست مضطربة . »

قال : « كانت مضطربة إلى أن أن وجدت سائقا آخرا . »

قالت : « يبدو أنها ذلك . »

قال : « لم تكن كليست تحبنى أبدا . » ونظر إليها ثم أضاف : « أنت لم تكونى متأثرة لا بالسباق ولا بى كسائق ، أليس كذلك ؟ »

قالت : « لماذا تخليت عن السباق ؟ » تساءلت وهى مترددة وأضافت : « هُل بسبب موت سايمون ؟ »

قال : « هذا ما جعلنى أتخذ القرار ، ولكننى كنت متجه هذا الإتجاه منذ مدة طويلة . ولم أكن مستمتعا باهتمام وسائل الإعلام ولا بالسباق . ولكن السبب الأساسى للتخلى عن السباق هو أننى شعرت بأننى تافه . لقد ولى المرح . وعلى أية حال إنى أجد ما أقول به الآن مثيرا وجديرا بالإهتمام . مثلك ، أستمتع بإدارة عملى الخاص . »

قالت : « فكر فى أنك مخلص جدا لشركتك ، متى ذهبت إلى المسرح أو خرجت إلى العشاء أو أخذت أجازة ، ألم يكن ذلك بخطير ؟ » .

فيتور : « لم أفعل أيا من تلك الأشياء منذ فترة طويلة . منذ عامين أو أكثر » .

قالت : إرتكب هذا الخطأ مرة واحدة ، لكنك يجب أن توسع من اهتماماتك وتقلل السفر وتجعل من بنوبك فهناك كثيرون . فالعمل لساعات طويلة ليس بالأمر الجيد بالنسبة لك . ربما تشعر الآن بالتعب ، فامنح نفسك سنة أو إثنين . . . » .

قال : « من الأفضل أن تراقبى نفسك » . وأضاف : « أنت تهونى الأمر . وشكرا من أجل المشروب ، ولكن أوراقى بانتظارى » .

الإشارة إلى موت سايمون لم تثر إتهامات ، حيث فكرت آشيلى فى ذلك عندماانطلق فيتور بالسيارة . لابد وأن تشرح له الأمر بالنسبة لسايمون ويجب عليها أن تخبره بالحقيقة عن توماس .

إندهشت آشيلى عندما وجدت السيارة بى . إم . دبليو أمام منزلها بعد أسبوعين . وكانت آشيلى واقفة مع ليف يناقشان أمر شغل بالنسبة لأحد المطابخ ، وعندما غادر فيتور السيارة شعرت بأنها متوترة . وكان ابنها يلعب فى التراس ، وعندما شاهد فيتور أسرع إليه والتقطه فيتو بذراعيه ورفعه . وقال فيتور له : « ما رأيك أنجلس سويا فى سيارتى ؟ » .

قال الطفل : « من فضلك » .

لقد حبست آشيلى الدموع فى عينيها متأثرة من لقاء إبنها بأبيه .

سأل ليف : « هل هذا الشاب هو أحد الأقارب ؟ » . ,

نظرت آشيلى إليه بانزعاج . بينما ورث توماس عنها الأنف والذقن فإن الشبه بينه وفيتور كان واضحاً فى الشكل وسواد عينيه وفمه . ويبدو أن ليف لم يفطن لذلك .

سألت آشيلى : « قريب ؟ » .

ليف : « يبدو أن توماس يعرفه جيداً . ، لذا ظننت أنه ربما ابن عمك أو شىء من هذا القبيل » .

آشيلى : « لا ، هذا فيتور داركوس . أتتذكر أنى أخبرتك بأن شركته هى التى تقوم ببناء الفيلات ؟ » .

ليف : « وأنه زميل فى فريق سايمون ؟ نعم . . كان يجب أن أتعرف عليه ولكنه مضت مدة منذ أن شاهدت صورته » . وأضاف بعد أن نظر إلى السيارة وشاهد الطفل : « إن توماس ودود إليه أكثر من وده لى » .

قالت : « إن هذه السيارة هى التى يحبها توماس » .

ليف : « كم مرة حضر داركوس إلى هنا ؟ » .

آشيل : « مرتان فقط . مثلما شرحتلك ، إنه يريد شراء منزل » . . « شكراً لأنك جعلت الولد الصغير سعيدا جداً » وجهت هذاالكلام إلى فيتور وهو مقبل إليها مع توماس .

قال : « أى شىء يسر توماس » .

قالت : «هذا ليف . ليف هارالدش» . وقدمت الرجلين إلى بعضهما البعض .

قال فيتور : « هل هناك مشكلة بالنسبة للأشياء المفقودة ؟ » .

آشيل : « ما من شىء مفقود » قالت وهى تبتسم .

ليف : «هل ستعرض على آشيل بيع المنزل مرة ثانية ؟» .

عبس فيتور بسبب معرفة الدانماركى بشئونها .

فيتور : « حقيقة إننى هنا بسبب هذا الأمر » .

لقد جعلت آشيل فيتور يظن أنها وليف قريبان من بعضهما .

عرض فيتور مبلغاً أضخم . التفت ليف إليها دون أن يصدق وقال : «ولكنك إذا حصلت عليه مقابل هذا المكان وأنا أبيع شقتى سيكون لدينا معا مال كاف للزواج ونشترى . . . » ثم نظر إلى ساعته وقال : « لدى موعد خلال خمس عشرة دقيقة فى لاجوا ، لذا يجب أن أذهب » . ثم هز رأسه لفيتور متجاهلاً توماس تماماً ، وتوجه إلى سيارته الفان .

فيتور : « أظنك اعتبرتيه وسيما » ألقى فيتور بهذه الملحوظة والدانماركى يقود سيارته .

آشيل : « نعم . إنه وسيم » .

قال : « إنه يذكرنى بمضيف مباراة رياضية . إن توماس لم يفكر فى الشاب أيضاً » .

آشيل : « ربما لا » .

ونظرت آشيل لتستطلع الأمر بشأن توماس الذى يلعب فى التراس وإذ هى

تحملق فى رعب حيث شاهدت عنكبوتاً أسودا بشعره ، ومد توماس إصبعه فى شعره بفضول .

أمره فيتور قائلاً : « لا تمد إصبعك ! » وتقدم بخطوات سريعة والتقط الطفل من الأرض وأعطاه لأمه . وأمسك بأداة من الادوات المستخدمة فى فلاحة البساتين وضربه بشدة .

قالت : « إنها العنكبوتة الذئبية ! كادت أنتقتله ! » .

فيتور : « إنه صغير جداً وقد يلحق الضرر بنفسه » .

قالت : « من الممكن أن تكون عنكبوتة كبيرة » .

قال مهدئا : « وإذا شرحت لتوماس أن لا يلمس أى شىء مثل تلك ، ويجب أن يأتى ويخبرك عندما يجد إحداها ، فإنه حينئذ سيتجنب أى خطر مستقبلاً » .

قالت : « كان من المفروض أن أقوم بهذا » .

قال : «حسن» .

آشيل : « حسن ماذا ؟» .

فيتور : « هل ستنحى باللائمة على ؟ هل ستقولى أن العنكبوتة تم إزعاجها عندما تم إزالة الأشياء من موضعها ولذا كان ذلك هوخطأى ؟ » .

نظرت آشيل إليه ورفضت أى تأكيد على ذلك . وبدأت تدريجا إعادة تقييم رأيها فيه ، وكانت تعتبره وحشا فيما سبق .

قالت : « وإذا أنحيت عليك باللائمة هل يكون الحل بالنسبة لى أن أرحل ؟» .

فيتور « لم أقل ذلك » .

آشيل : « وأنا لا ألومك . لقد مضى أسبوع منذ إزالة الأخشاب والأشياء مما أتاح الفرصة للعنكبوتة أن تتحرك » .

وأضافت : « ولذلك سأكون ممتنة لو ألقيت نظرة حولك للتأكد من عدم وجود أى منها » .

قال : « هذا صواب». وقام بفحص المكان ، ثم أضاف : « كل شيء نظيف».

قالت فجأة : « أنت ترتدى الجنز » .

قال : « تستحقين الدرجة النهائية للملاحظتك . ويجب أن أرتدى الشيرت والتر بنتج مثلك . والسبب فى مجيئى أن عرضى بالنسبة لمنزلك قد تم رفضه . وأنا هنا أيضاً لدعوتك وتوماس للغذاء معى على رصيف الميناء فى بورتيماوو » .

فكرت آشيلى فى أنها وتوماس مدعوان ، فهذا تغيير . وإنه بالمناسبة عندما يحدد ليف موعدا ـ أحيانا موعد غذاء ـ لم تتضمن الدعوة الولد الصغير .

قالت : « وماذا عن عملك » .

فيتور : « لقد قلت إننى مخلص بالنسبة لعملى ولابد من توسيع إهتماماتى ، لذا فأنا أوسعها . ما رأيك فى أن تركب سيارتى ؟ ، حيث سأل توماس ، ثم نظر إليها وسأل : ما رأيك فى الغذاء ؟» .

آشيلى : « يبدو أن الرفض أمر غير لائق » .

قال : « إنه أمر يضايق ». وأضاف : « باولو أخبرنى بأن عيد باركوس ، فيستا دى باركوس ، يتم إقامته فى كارفيرو هذا الصباح . هل شاهدت الاحتفال؟ » .

قالت : « لا . سمعت عنه . لكننى لم أدرك أنه اليوم ».

البرتغال مثل أى بلدة لها تقاليدها واحتفالاتها ، واعيادها الخاصة ـ مثل الاستقلال عن الأسبان منذ ١٦٤٠ يتم الاحتفال به أو الثورة الأخيرة ـ وعليها أن تثبت التواريخ فى ذهنها .

فيتور : « هل نقوم بجولة ثم نعود ونشاهد . إنه على وشك البدء ».

آشيلى : « نعم . من فضلك ».

هناك فوق برايا دوكارفيرو المطلة على البحر توجد الكنيسة المحلية بيضاء اللون . الجماهير محتشدة على جانبى الطريق الذى يؤدى إلى القرية ، سرعان ما وجد مكانًا ليترك سيارته فيه وانضم إليها . بعد دقيقة أواثنين ظهر الموكب فوق قمة التل وبدأ يشق طريقه ببطء إلى أسفل .

رفع فيتور توماس بين ذراعيه .

وقال : « هل ترى الكهنة ؟ » وأشار إليهم وهم يرتدون زيهم بألوانه الغنية ويتقدمون الموكب ، وكان تمثال العذراء مارى محمولاً عالياً .

قال الطفل : « مادونا ، مادونا ، مرددا ذلك باهتمام » .

ثم تبع ذلك الأطفال وهم مهندمون فى أبهى ملابسهم . وتبعهم الآباء وجمهور الكنيسة فخورون . البرتغاليون مولعون بالأطفال ، وكانت آشيلى تنظر إلى فيتور وهو يشرح للطفل كل شيء عن الإحتفال .

فيتور : « الآن رئيس الكهنة يؤدى الصلاة من أجل القوارب على الشاطىء » شرح وهم ذاهبون للإنضمام مع النظارة الآخرين وتبعوا الموكب عبر الميدان وعلى الرجال . شاهدت آشيلى القوارب التى أبحرت ليلا وعادت صباحا وهى زاهية الألوان خصيصا لهذه المناسبة . وعندما قام الكورس بالغناء الخافت قام الكاهن بالتحرك من قارب إلى آخر وهويصلى لأجل الصيادين وسلامتهم من الضرر ويتضرع إلى الله أن يكون الصيد العام القادم وفير . رأت آشيلى أن الإحتفال بسيط لكنه يحرك الذاكرة بأساسيات الحياة .

آشيلى : « أشكرك ، استمتعت بانضمامى إلى الاحتفال ؛ والموكب يدور حول القرية قبل عودته النهائية إلى الكنيسة .

فيتور : « والآن صارت لك شهية لعينات السمك الذى أتى به الصيادون إلى الشاطىء ؟ » .

آشيلى : « حسن الشهية ».

***

الفصل السادس

عندما وصلوا إلى بورتيما وبدأت الموائد التى فى صفوف تمتلىء . ورغم أن قائمة الطعام تضم العديد من أصناف المأكولات البحرية إلاّ أن طعام الغذاء يأخذ طابعا خاصا وهوسمك السردين الطازج الكبير حجما ومشوى على الفحم فى الهواء الطلق . كان يقدم السردين مع بطاطس وسلاطة مختلطة ممايشكل ذلك وجبة لها مذاق يجذب القائمين بالأجازات والمحليين على حد سواء . عندما اقتربت آشيلى وفيتور من المطعم استقبلهمالقائمون على خدمة الزبائن ليحيوها .

قال أحد القائمين على الخدمة وهويرتدى مريلة طويلة لتوماس : « أنت تحتاج إلى أحد الكراسى العالية أيها الرجل الصغير » وأضاف : « عندى لك كرسيًا عاليًا ». واستمر الرجل فى الكلام موجهه إلى فيتور وآشيلى : « لو سمح السنيور والسنيورا من هنا . . » وبعد ثوان جلسا تحت مظلة بالمنضدة ومعهما الصبى الصغير .

ولأن فيتور شكره باللغة البرتغالية إفتكر الجرسون أنهما من المحليين وظل يتحدث معهما بالبرتغالية .

قال فيتور معلقا : « إنه يظن أننا متزوجان وأن توماس إبنى ، وهذا أمر طبيعى على ما أعتقد ». همست آشيلى متسائلة لماذا قبلت هذا الموعد على الغذاء؟ ولماذاعرضت نفسها لخطر أن يلاحظ الشبه بين ابنها وبينه ؟ والتقطت قائمة الطعام واهتمت بالتحلية .

أضاف فيتور : « ربما يكون توماس إبنى ».

وانتاب آشيلى ما انتابها ولو أنها كانت تأمل ولو نصف أمل أن يخمن فيتور هذا الأمر ، لكنها لم تكن تريد أن يخمن هذا الآن . ليس وهما فى مكان عام ويحيط بهما الآخرون . وليس عندما يلتقط توماس الأحداث العاطفية . وهوكذلك، لن يفهم الصبى الصغير ، لكن . . .

قالت : «هل أخبرك سايمون بذلك ؟ » .

أومأفيتور برأسه مجيبا على سؤالها بالايجاب .

كان هناك استمتاع بالطعام اللذيذ وللإسترخاء وظرف فيتور ، مع انسياب المناقشة بمرح خلال الوجبة ، وكانت مسلية ، لا يهددها شىء .

استطردت آشيلى : « اليوم السابق توماس وأنا ذهبنا لنلقى نظرة على أساسات الفيلا الأولى التى بدأ رجالك فى بنائها ، ستكون فسيحه . »

هز فيتور ر أسه وقال : « المنزل أكبر من خمسة منازل مختلفة الأنماط ، وحاولنا أن نضفى عليه مزيج من النمط الأندلسيو الأشكال الحديثة . » وأخذ يشرح لها بالرسم التوضيحى على الورق الموجود على المائدة .

آشيلى : « رائع . وماهو تخطيط الأرضية ؟ »

فيتور : « إضافة إلى حجرة المعيشة ، وحجرة الطعام والمكتبة هناك حجرة زائدة أسفل الدرج . ويمكن استخدامها كحجرة نوم إضافية ، أو ركن التليفزيون »

قالت : « أو حجرة لعب »

قال : « أيا كانت . هل مزيد من القهوة ؟ »

قالت : « لا د شكرا » ، ثم تذكرت وقالت :

« اعتدت الخروج كل يوم أحد فى لندن للذهاب أحيانًا إلى حديقة كوثينت».

قال : « ألم تشعرى بالحنين إلى الوطن ؟ »

قالت : « نعم شعرت بالحنين إلى الوطن . الشهر الماضى أحضر شخص

أتوبيس لندن الشهير المكون من طابقين ، أحمر اللون ، وذلك لتنمية البضائع البريطانية ، وعندما رأيته كدت أصرخ من الفرحة . فالحنين إلى الوطن يتنابنى فى المناسبات فقط ، وقص عليها فيتور أسطورة الملك الأندلسى الوسيم الذى فاز بأميرة من شمال البلاد وأحضرها لتعيش فى الجريف ، « ومع أنه أغدق عليها الهدايا الكثيرة إلا أنها كانت تبدو غير سعيدة . وعندما سألها عن السبب إعترفت بأنها متعلقة بثلج وطنها . وعند سماعه هذا أصدر الملك أوامره بالنسبة للحقول حول قلعته بأن يتم زراعتها أشجار على مرمى النظر . أيقظ عروسته فى فبراير التالى وذلك من نوم الحزن وحملها إلى النافذة لتنظر خارجها وجدت الأرض كلها مغطاة باللون الأبيض . فإن بحر اللوز أزهر ، وهدية زوجها عالجها من الحنين إلى الوطن ».

تنهدت آشيلى وتساءلت : « وعاشا سعيدين بعد ذلك ؟ »

ابتسم فيتور وقال : « طبيعى »

وسألها أيضا : « ما رأيك فى الذهاب إلى كالداس ؟»

تخيلتها آشيلى وهى عبارة عن قرية جبلية حالمة وعلى جانبيها الغابات وهى المحببة إلى أى أسرة كمتجع . وفكرت آشيلى أن تشترى سيارة لزيارة الأماكن الممتعة هى وتوماس .

وقالت : « الساعة تجاوزت الثالثة والمسافة طويلة إلى لشبونة ؟ »

قال : « لن أعود اليوم . سأمضى الليلة هنا وأعد فى الصبح » .

ضغطت آشيلى على أسنانها . إن لديها بعض الرسومات تريد القيام بها ولكنه يمكن إنجازها باكر . وقالت : « كالداس لابد وأنها عظيمة » .

وهم سائرون فى الطريق انتظرت أن يغفو توماس غفوته وخصوصا مع هدهدة السيارة إلاّ أن توماس ظل مستيقظاً كما و أنه لم يرد أن يفوته أية دقيقة من الرحلة .

اقترح فيتور قائلاً : « لما لا ننهى جولتنا بتناول العشاء فى وقت مبكر ؟ وهذا سوف يوفر عليك عمل أى شىء فى المنزل ؟ » .

آشيلى : نعم ، من فضلك » .

وتناولوا طعام العشاء وبعدها عادوا إلى السيارة فى طريق عودتهم وإذ توماس يغط فى النوم بسرعة خلال دقائق . عندما وصولوا بالقرب من كارفوييرو بدأت قطرات المطر تتساقط على الزجاج الأمامى للسيارة .

وأضافت : « لقد أمضيت وقتاًعظيماً » . وشكرت فيتور عندما توقف بالسيارة ونظرت إلى توماس مبتسمة وأردفت : ووهو أيضاً يشكرك على الوقت العظيم» .

قال فيتور : « وأنا مثله » .

قالت لتوماس : « عدنا إلى المنزل ، هيا بنا » . احتج توماس وقال : « لا » .

حاولت الإمساك به لتحمله من السيارة صرخ قائلاً : « ! لا ! لا ! »

أضافت : « أنا أعرف أنك تحب هذه السيارةلله وأعرف أنك متعب وسأكون ممتنة لو أنقذتنا وأدخلتنا المنزل بعيدا عن المطر » .

أخذ فيتور توماس منها وقال : « إجرى » . وجرى بجوارها إلى داخل المنزل .

وقالت : « إننا بانتظار عاصفة » ، ونظرت إلى توماس قائلة : « سوف أعطيك حماما سريعا ثم تذهب مباشرة إلى السرير » .

وقال توماس : « لا ! » ورفع فيتور يده قائلاً : « إعطينى خمس دقائق » .

ثم سأل توماس : « كم إصبع لديك ؟ واحد ، اثنين ، ثلاثة ، أربعة ، خمسة ، وردد الطفل : «خمسة» .

أبرقت السماء والمطر منهمر وصوت سقوطه على النوافذ مسموعاً . . وأخذ توماس يداعبه وقال لآشيلى : « هل حمامه جاهز؟» وتوماس يضحك ويكرر اللعب مع فيتور . ابتسمت آشيلى : « نعم . . وأشكرك كثيرا » .

انقطع التيار ولكنها كانت قد أعدت الشمع فى أماكنه المناسبة . ثم جلس توماس هادئاً على صدر فيتور على وشك النوم . إن قربهم الثلاثة من بعض جعلها تود لو كانوا عائلة . نهضت آشيلى من مكانها وقالت : « لو أضأت شمعة كبيرة ووضعت إثنين منهاعلى المكتب سيكون ذلك كافياً » .

عرض فيتور القيام بهذا قائلاً : « ممكن أن أقوم بهذا ؟ » .

إقترحت آشيلى قائلة : « ألا ينبغى أن تذهب ؟ » .

لم تكن آشيلى تريد المزيد من التظاهر ، كما لم تكن تريد أن تكون بمفردها معه فى الظلام .

قال : « وهو كذلك . وسأنتظر بضع دقائق حتى تهدأ العاصفة » .

قالت : « وقت الحمام » . وأخذت توماس من على ركبتى فيتور . ثم انتهى بسرعة من إعطاء توماس الحمام حيث كان متعبا ولمك يضيع وقتا فى اللعب ، وبدأت فى جعل توماس يرتدى البيجاما ، عندما ظهر فيتور عند الباب . ثارت أعصابها وكانت تفضل أن يبقى فى حجرة المعيشة ، وتفضل لو ظل بعيداً عنها .

وأخذ يلف المكان ينظر إليه على ضوء الشمعة المتراقص .

وأضافت : « نعم » .

قال : « أود أن يكون لى حمام فى ضوء الشموع » . وضمت ، ثم قال : «معك» الأمر الذى جعلها ترتعش ثم نهضت على قدميها .

وقالت : « لا ، لا » وكان صوتها قويا هذه المرة . واحتضنت توماس وقالت : « إنه نائم وهو واقف ، ويجب أن أضعه على سريره » . واتجهت إلى حجرة النوم على الطرف الآخر من الصالة . ووضعت توماس فى سريره واتجهت إلى النافذة فوجدت أن الرعد والبرق انتهيا إلاّأن المطر مستمر . وأغلقت الستائر . وتساءلت متى تعود الكهرباء ثانية ؟ وهى تسمع فيتور يعود إلى حجرة المعيشة . وإن لم تعد الكهرباء فإننى لا أعرف ماذا سأفعل ؟ ، ونهضت وهى أكثر عزما حيث قالت لنفسها : وسأخبره بأننى ليست لدى الرغبة . وبينما كنت ذات مرة ساذجة وحمقاء فلن أكون مرة ثانية هكذا . وإذا كان مهتما بإقناعى بترك منزله فليأخذه » . ونظرت آشيلى إلى الطفل : ويجب أيضاً أن أخبره عنك .

لقد حاولت ولكن الأمر صعب جدا ، فلو أوضحت لفيتور أنه ولدك فربما يحدث أى شىء . أى شىء . إن الأمر يفزعنى ، ولكإنى لا أستطيع الإبتعاد

عنه ، وانحنت لتقبل الطفل . والتفتت لتجده يقف بالباب يراقبها . وشعرت بقشعريرة . ولم تكن هناك حاجة لتسأله منذ متى وهو بالباب . إن التوتر البادى عليه أوضح أنه سمعها .

قال : « توماس طفلى ؟ »

وهزت آشيلى رأسها يائسة ولكن الأمل يحدوها . ثم ذهب لينظر إلى الطفل النائم .

آشيلى : « كنت . . . ذاهبة لأخبرك » .

قال : « متى ؟ ربما كنت تعتزمين ترك الأمر حتى يصل توماس سن الواحد وعشرين ؟ »

آشيلى : « لا . لم أكن أترك الأمر لمدة أطول على الإطلاق . حاولت شرح الأمر الليلة الماضية ولكن . . » وكانت هناك حشرجة فى صوتها المنكسر » .

فيتور : أمسك بذراعها وقال : « لا نستطيع التحدث هنا » وخرجا إلى الصالة . وحاولت آشيلى إنتزاع ذراعها منه لكنه رفض أن يتركها .

وقالت : « لم تكن هناك حاجة لأن تجعلنى أسير هكذا » .

فيتور : « ولم تكن هناك حاجة لأن تخدعينى » وأضاف : « كيف تجرئين على إخفاء العلم بأن لى إبن ؟ » .

قالت : « إنك لم تصدقنى عندما قلت إننى لم أبدد انتباه سايمون ولم تكن لتصدقنى لو أخبرتك بأنه طفلك الذى أحمله » ، وأضافت : « هل هذا يجيب على سؤالك؟ مع كل رحلاتك لم يكن لديك الوقت لتدخره لأجل توماس » .

قال : « هذا لا يجيب على سؤالى . لقد مضى عامان . كان لديك الوقت الكافى لأن تخبرينى وسكوتك منذ أن تقابلنا ثانية يعنى أنك كاذبة» .

قالت : « أنا آسفة » .

فيتور : « آسفة ؟ لقد حرمتينى من أن أعيش وأتمتع بطفولة ابنى ، وتقولين آسفة ؟ » .

قالت : « كيف أعلم أنك ستشعر بمثل هذا الشعور؟ وهوكذلك ، فإن صمتى كان خطأ ، ولكن عندما أخبرك آنذاك فربما لم تكن لتتقبل أن توماس إبنك» .

قال : « بالطبع هو إبنى . فهو لا يسبهنى فقط بلّ إنمايشعر بما أشعر به . ولكنك هل أنت آسفة أيضاً لأنك أخبرت سايمون بأنه هو الذى جعلك حاملاً؟» .

قالت : « لم أفعل . إنه كذب عليك فى ذلك الشىء وفى أننى فتاته . لم يكن هناك أمر جنسى بيننا » .

قال : « شاهدت صورتكما معا فى الجريدة » .

قالت : « ألتقطت الصورة منذ بضع سنين فى احتفال العائلة بالكريسماس عندما كنا نلعب لعبةالكراسى الموسيقية . ترى ، سايمون كان أخى بالتنشئة» .

حملق فيتور فيها وتساءل : « أخوك بالتنشئة ؟ » .

قالت : « عاش سايمون مع عائلتى منذ أن كان فى الثانية عشر حتى السابعة عشر ، وهذا هو السبب فى أننا متآلفان ، لأننا كنا حقيقة بمثابة أخ وأخت . ورقم تليفون والدى مدون فى الورق ها هنا ، فإن لم تصدقنى يمكنك الإتصال بهما هاتفيا » .

قال : « ليس الأمر ضروريا » .

قالت : « توماس لن يناسبه بسهولة حياتك ، فهو راضى تماماً معى » .

وعادت إلى صلب الموضوع وقالت :

« وهوكذلك ،يمكن أن تستأجر مربية وقد يكون لك إتصالاتك مع المسئولين القانونيين هنا ، على وفاق مع القضاة وما شابه ذلك . ولكنه مع كل ثروتك والضغط ، فإننى لازلت . . . »

قاطعها قائلاً : « لماذا أخفيت علاقتك الحقيقية مع سايمون ؟» .

تنهدت آشيل وقالت : « لم أكن أريد ذلك ، وهو لم يكن يريد أن يعرف الناس ماضيه » .

فيتور : « فهمت رغبته فبالتكتم . ولكنى لا أرى حاجة إلى تمثيلية أنك كنت فتاته »

قالت: « لم أكن فتاته . إنه سايمون الذى أعطى الإنطباع بذلك من وراء ظهرى . وإننى بمجرد أن أدركت ذلك أخبرته بضرورة التوقف ، والشىء التالى الذى عرفته أنه أورد نفس الرواية لصحفى » .

قال : « المقال فى أديلايد؟ عندما قتل سايمون وأشارت وسائل الإعلام إليك على أنك فتاته ، وتركت الأمر هكذا » .

قالت : « كان سايمون يهتم جدا بإخفاء ماضيه عندما كان حيا ، ويبدو أنه ليس من العدل الكشف عنه بعدما مات . ولم أتوقع أن الجرائد ستلتقط مولد توماس ، ولكنها عندما فعلت وسلمت بأن الطفل ابن سايمون، تركت هذا الأمر أيضاً » .

فيتور : « أظن أنه لم يكن هناك بديل» .

قالت : « ظننت أننى تتبعت سايمون إلى أديلايد ، ولكننى ذهبت إلى هناك لأجل عمل تجارى . إتصلت به لأننى قرأت المقال ولم أكن أود أن يستغلنى أحد » وصلت الكهرباء وأضيئت الأنوار حيث قالت : « أخيراً !» .

قال : « وكيف عرف سايمون أنك حامل ؟» .

قالت : « لاحظ أننى قلقة وسألنى لوكنت حامل . ورغم أنى أعرف أن سايمون ليس بالشخص الجيد لأضع ثقتى فيه إلا أنه كان متآلفا والموجود آنذاك . لذا اعترفت له بإمكانية الحمل » .

جلس فيتور أمامها ليهضم ما قالته :

قال : « ولماذا أخبرنى سايمون بأنك حامل منه منذ ثلاثة أشهر ؟» .

قالت : « ولأنه إعتبرك منافساً له فى السباق وخارج السباق وباعترافه بأبوة الطفل هذا كان معناه أنه مارس الجنس معى أولا ، وقبلك ، وهذا أيضاً تفوق عليك حسبما يراه » .

قال : « هل ذهب سايمون إلى هذا الحد البعيد فى قول كل تلك الأكاذيب ليتحدانى أومأت آشيلى برأسها وقالت : « يبدو أنه إشترك فى الضغينة . إعتبرك مناوئا له وكان يحاول أن يكون أفضل منك بأى وسيلة ممكنة له » .

قال : « ولماذا هذا ، فإننا فى سباق ، ولم تكن معى بلطة لأشحذها ضده» تنهدت آشيلى وقالت : « إن طفولة سايمون قد تركته بشعور أنه غير كفء، وحاقد بشدة ، وهذا معناه أنه وجد من الصعب أن يعيش بفكرة أن يكون أحد المتصلين به أفضل منه ، وعداءاته فى المدرسة اتخذت شكل المشاجرات والإساءات الشفهية ، ولكن هذه المرة . . حسن ، لو أنه حاول ضربك . . » .

وأضافت : « ومن ثم نسج الأكاذيب . لكن المهم الآن هو توماس » .

قال : « نعم إنه هو المهم الآن » .

أعلنت : « إن أفضل مكان له هو أن يكون معى . ربما تكون مستعدا لتفعل أى شىء للحصول على هذا المنزل ، ولكنى مستعدة للقيام بأى شىء كان ضروريا لضمان أن يبقى توماس فى رعايتى » .

فيتور : « تحذيرك ملحوظ ولكننى لا أريد أن آخذه منك » .

آشيلى : « لا ؟ » قالتها تدريجيا .

فيتور : «ولا أريد أن أبارز إمرأة أصبحت رهيبة » ووضع إصبعه على فكه وأضاف : « هذه إشارة إلى أنك فكرت فى أنى ربما أجرك إلى المحكمة ونتصارع بشأن توماس ؟»

قالت : « يبدو ممكنا» .

قال : « كل ما أريده له أن يكون سعيدا وآمنا وهو أن يكون معك ولن أعرضه للخطر ،بأن أحاول وأفصله عن والدته » .

قالت : « أشكرك » .

قال : « هل يعرف والدك أن توماس إبنى ؟ » .

قالت « نعم ، وشقيقى كذلك يعرف هذا » .

قال : « هل توماس هو السبب فى أنك حضرت إلى البرتغال ؟» .

قالت : « حتى لو عاش هنا بضع سنين وهوصغير فإنى أردت أن يعرف شيئاً عن جذوره ، ويعنى أصله » .

قال : « إنى أقدر لك هذا » ونهض فيتور من أمام المدفأة وأعلن : « إن ما يجب عمله الآن هو أن نتزوج » .

حملقت آشيلى وهى فاغرة فمها وقالت : « نتزوج ؟ » .

قال : « أنت تريدين لطفلنا أن يظل غير شرعى طوال حياته ؟» .

قالت : « لا »

قال : « ولا أنا . ولن أسمح لهارالدش أن يعلن أنه إبنه » .

تساءلت : «ليف؟» .

هز فيتور رأسه وقال : « ربما لا أستطيع أن أمنع توماس من أن يكون له زوج أم ولكننى لا أوافق على أن يتبناه أحد ويستخدم إسمه . إن دمى هو الذى يجرى فى عروق توماس وسأعترف به قانونا » .

قالت : « ولكن. . . . »

قال : « إبنى له الميراث الطبيعى وثروتى ستكون ثروته فى الوقت المناسب ، لذا سأتكفل ليعيش فى رخاء ويتعلم تعليماً راقيا . وسوف تنتفعين أيضاً » .

قالت : « أتعنى أننا لو قمنا بالطلاق بعد أى وقت فإنك ستدفع لى مبلغاً شاملاً ؟» .

قال : « يتم الإتفاق عليه . سأكون مشغولاً لمدة أسبوعين . ولكنى أود أن نقضى نهاية الأسبوع مع والدتى لكى يتسنى لها مقابلة حفيدها » .

قالت : « وهوكذلك» ووافقت على الإقتراح الذى يبدو معقولاً .

قال : « سأمر عليكما بعد ظهر يوم الجمعة ، وسأكون على اتصال بكما قبل ذلك » . وقام بتوديعها .

قالت : « وما تاريخ زواجنا الذى تخطط له ؟ » .

قال : « سوف نحدده خلال أسبوعين . » ثم قال : « تصبحين على خير » .

***

الفصل السابع

قررت آشيلى أن تجمع كل شىء تحتاجه وابنها منقمصان وتى ـ شيرت وصنادل وصندوق عربات اللعب ، وفساتين وبنطلونات وملابس داخلية وما إلى آخر ذلك ، وذلك لقضاء عطلة نهاية الأسبوع ثم أغلقت الحقيبة وتنهدت . سيصل فيتور فى خلال ساعة ليأخذها وتوماس إلاّ أنها كانت مزدحمة بالهواجس بشأن الذهاب إلى سنترا وعما يكون رأى مارجريدا عنها الآن بأنها كانت غارقة فى الحب مع ابنها ، وعن فكرة الزواج .

سارت آشيلى تجاه نافذة حجرة النوم . وإنه فى أول تصرف له كأب رتب فيتور مع عماله عمل كومة رملية فى نهاية طرف التراس المواجه لورشة آشيلى حيث يلعب توماس راضيا . ذلك أن إنهماك الولد الصغير فى اللعب يمكنها من العمل مدة أطول خلال الأيام مما يجعلها تنهى الأعمال القائمة بها حاليا ثم تقوم بعطلة نهاية الأسبوع دون القلق عليها ، وهذا يجعلها تصرف قلقها على شىء آخر .

ليف أرادها لكن اهتمامه بتوماس يكاد يكون معدوما . فيتور يملؤه الإهتمام بتوماس ولا يهتم بها ، الأمر الذى جعلها تبتسم بتهكم .

إنها غير مستعدة لسحبها إلى المذبح ، وإنها قبل أن يتم تحديد أى شىء هناك أمور يجب أن تناقشها مع فيتور . الزواج مهما كانت مدته قصيرة فهو أمر معقد ـ الأعمال التجارية المسببة للمشاكل ـ وإن أيام سذاجتها قد إنتهت .

نظر توماس فجأة ثم نهض على قدمية حيث كان فيتور مقبلا نحوه ورفعه بين ذراعية . أخذ قلب آشيلى يدق بعنف مع إحساسها بالضيق . سار فيتور متجها مباشرة إلى سيارته .

آشيلى : « لقد قلت إنك ستحضر إلى هنا فى الساعة الرابعة » .

فيتور : « أفلحت فى الذهاب مبكرا عما كنت أتوقعه . » .

نظرت آشيلى إلى توماس الذى يلف ذراعه الصغيرة حول رقبة فيتور حيث قالت : سيملأك بالرمل . »

فيتور : « سأنظفه ، ولابد من معانقته لأنه لم يشاهد أباه لمدة أسبوعين . وهل قررت بما تحبى أن ينادينى به ؟ »

آشيلى : « أظن ، كما كنا فى البرتغال »

فيتور : « من الآن فصاعدًا نادنى بكلمة بابا هل تستطيع قولها ؟ » يقول ذلك لابنه توماس .

توماس : « بابا »

قال فيتور : « نادنى بهذا لأننى والدك . أنا الرجل الذى مارس الجنس مع أمك وأنتجك » . ورمق آشيلى بنظره .

تجاهلت آشيلى نظرته وملاحظته وقالت : « هل تناولت الغذاء ؟ » أمسك فيتور رأسه بيده فى إشارة إلى أنه لم يتناول الغذاء .

وسألته : « أتحب ساندويتشا وقهوة ؟ »

قال : « لو سمحت . وهناك لعب لأجل توماس فى السيارة . سأذهب لأعطيها له حتى يمكن أن يلعب بها بينما آكل ؟ » .

أومأت آشيلى برأسها وذهبت إلى المطبخ وأخذ فيتور الولد الصغير لإحضار هديته وهى عبارة عن جراج خشبى مطلى بطلاء جير .

عندما عادت آشيلى إلى التراس وجدت الولد يلعب بالسيارات والجراج حيث قالت : « آمل ألا تأبى له بهدية كلما حضرت لتراه » .

ووضعت الصينية التى تحملها على منضدة حديدية صغيرة .

وقال لها : « إسترخى واهدئى . لن أفعل وقبل أن أشترى له أى شىء مستقبلا سأتشاور معك . هذا وعد » .

قالت : « شكرا » .

قال : « إنى أفكر فى سايمون ، وأكون شاكرا لو زودتينى ببضع معلومات» .

قالت : « مثل ماذا ؟ » .

قال : « لماذا أخبرنى بأنك فتانه ، حتى ولو كان قد أعلن أننى منافسه ، وهذه النقطة لا صلة لها بالموضوع . وأتصور أنه قالها لأنه كان واقعا فى حبك وكان يأمل فى أن التظاهر بأنكما ثنائى مما يجعل الأمر واقعا ويتزوجك . »

تجهمت آشيل وقالت : « ربما كان محطما . ولكن ما جذبه بصفة أساسية هى حرفيتى . كان سايمون يحب أن يترك إنطباعا لدى الناس ، والأمر بأن لديه فتانه حيث تصور أن ذلك يعطيه المزيد من الشهره . المأساة أنه لم يكن يحتاج إلى أى شهرة فإن لديه المزيد من الشهرة الخاصة به كمتسابق فى مجال سباق السيارات . لكن هذا هو تفكيره . »

فيتور : « إنه أكثر من محطم . وأنت تمثلين وسرورا بالنسبة للآخرين؟»

قالت مبتسمة : « نعم »

فيتور : « ربما يكون هناك عنصر من ذلك ولكن سايمون أيضا كان يحبك . وأخبرنى بأنه قد سمع أنك ستخففين من عملك حتى يتاح لك الوقت لقضائه مع صديق . »

قالت : « حسن ، نعم ، هو فعل ذلك . » وكانت آشيل مقطبة الجبين .

قال : « إعتبر سايمون أنه يحبك لسنوات ولذلك قصد لأن بقدر المستطاع . وإنه من الظاهر أنه حدد مع وكالة السفريات التى تحجز لفريق ويلجيتى بالنسبة لك لكى تلحقى به فى كل المسابقة »

قالت : « أكان ذلك ترتيبا محددا ؟ »

فيتو أومأ برأسه : « وكانت الوكالة دائما تتصل به لتعرف ما هو الوقت الذى فيه تأخذين التذكرة » .

كانت آشيل تعتبر سايمون بمثابة أخ أصغر لها فهى اكبر منه سنا ، ولذا سلمت بأن الود الذى أظهره لها هو ود أخوين .

قالت ببطء : « كنت مخطئة ، رغم أن ذلك كان شيئا يتسم بالغرور جزئيا ، ويمكننى فهم أن سايمون ربما كان يحبنى بطريقته » .

قال : « عندما قابلتك أول مرة وتكلمت عن موعد الغذاء مع سايمون ، كان ذلك بمثابة صدمة لى . » وأضاف : « وما كنت أتصور أنك محبوبته على الإطلاق » .

نظرت آشيل إليه وقالت : « نعم ؟ » .

هز فيتور رأسه وقال :

« إن تعليقك عنه يجعلنى أجد من الصعوبة أن أعيش بفكرة أن أحدا أفضل مما يجبرنى على إعادة التفكير تماما . إنه يكره أى أحد يثنى على وعندما أبلى بلاءً حسنا فى السباق يجد من الصعب عليه أن يقدم لى التهانى . أديلايد كانت فرصته الأخيرة فى ذلك الموسم ليهزمنى ولذلك قام بالمقامرة ولم يكن لديه الفرصة ليخفف من كبريائه وإننى مدين لك بالإعتذار . لم يلق سايمون نحبه بسببك وإنما بسببى أنا . »

قالت : « إن سايمون لقى حتفه بسببه هو » .

صمت فيتور برهة وأقر ذلك قائلا : « أظن ذلك »

قالت : « وإن اعتذارك مقبول » .

قال : « أشكرك . حاولت عدة مرات الاتصال والإعتذار عن مهاجمتى لك حيال موت سايمون » .

قالت : « وحاولت عدة مرات الإتصال بك لأخبرك بشأن توماس » ، وسارت نحو الصغير وحملته من على كومة الرمل وقالت له وهو يحتج : « يجب أن تستحم وتغير ملابسك » .

وأضافت : « حتى يمكنك أن تجلس فى سيارة بابا » .

قالت فيتور : « ألست جميلا ؟ » ونظر إلى آشيلى وأضاف : « أليست ماما تبدو وكأنها مليون دولار أيضا » .

وأشار فيتور أنه حيث قال : « أظن أنه من الدبلوماسية أننى أخذت الجراج اللعبة ونظفته ووضعته فى السيارة » .

إبتسمت آشيلى . ثم أغلقت المنزل وحمل فيتور حقيبتها إلى السيارة . ولاحظت آشيلى هالة داكنه تحت عينيه مما ينم عن إرهاقه .

وعرضت عليه أن تقود السيارة حيث قالت له : « أتود أن أقود السيارة بدلا منك ؟

لقد قمت فعلا برحلة طويلة اليوم وأودك أن لا تنام على عجلة القيادة » .

قال « شكرا » . وأعطاها المفاتيح . وأضاف : « أنا أعرف أننى أبدو متعبا . و أشعر بالإرهاق فمنذ أن إلتقينا المرة الأخيرة قمت بزيارة الولايات المتحدة والبرازيل وقضيت أياما من المحادثات الشاقة » .

قالت : « وهذا يبدو روتينك المعتاد » .

قال : « لم بعد ذلك الأمر . وكان الحديث لأجل إعادة تنظيم هيكل المسئولية داخل شركة داركوس . لأننى طوال السنتين الماضيتين كنت أتخذ القرارات كلها ، صغيرها وكبيرها ، لذلك استخدمت مدراء أذكياء قادرين وأكفاء . ولذلك تم الترتيب بأن الرجال فى الخارج سيتولون إدارة عملياتهم الخاصة ويطلبوننى عندما تكون هناك أمور خاصة بسياسة الشركة لابد من مناقشتها . وهذا يعنى أن رحلاتى عبر البحار ستنخفض رحلتين أو ثلاثة سنويا وهذا تغيير تماما . »

قالت : « وماذا عن العمل فى البرتغال ؟ هل ستستمر فى إدارة العمل ؟ »

قال : « نعم وسأتبع نصيحتك وأقوم بتعيين المزيد . لقد حددت الأشياء وسيكون لدى الوقت لأكون أبا حقيقيا » .

لقد أرادت آشيلى للصغير أن يستفيد من نفوذ رجل قوى فى حياته ويكبر فى وجوده إلا أنها ثارت على وجود فيتور المستمر المتوقع أن يكون فى داخلها . ولكنها ستترك الباب مفتوحا له بالنسبة للعشرين سنة القادمة ، وسواء أرادت ذلك أم لم ترده فهو شىء يجب أن تتفق عليه معه .

وأضاف : « ماذا يظن ليف فى شأن زواجنا ؟ »

آشيلى : « لا يظن شيئا . ولم أخبره بذلك . ولم أذكر شيئا لأى أحد . »

قال : « ولم لا ؟ »

قالت : « لأننى متشككة فيما إذا كان سيتم من عدمه . »

قال : « ألا تريدين الوضع الشرعى لتوماس ؟ و نظرت آشيلى فى المرآة أمامها فشاهدت الولد الصغير يغط فى النوم .

قالت : « نعم . أريد له ذلك . وافترض أن الأمر يستغرق شهورا قبل البدء فى إجراء الطلاق ؟ »

قال : « أظن » . .

قالت : « حينئذ ، قبل أن « ألزم نفسى بأى شىء أريد أن أعرف ماذا يتضمن الزواج . » ورمقته بنظرة

وأضافت : « هل تتوقع أننا نقيم معا فى نعده لذلك ؟ وهل تتوقع أيضا أننا أننا . . وأننا . . »

فيتور : « أن ننغمس فى ملذات الجسد ؟ ولم لا ؟ لقد كنت ترغبين بقدر كاف فى ذلك الأمر منذ سنتين ، وربما ترغبين ثانية ؟ »

قالت : « لا ! »

قال : إنما تستطيعين » ثم استطرد : « منذ متى قدت سيارة فى الجانب الصحيح من الطريق ؟ »

قالت : « منذ ثلاث أو أربع سنوات » .

قال : « ومنذ متى قدت سيارة آخر مرة ؟ » .

قالت : « منذ تسعة شهور . والآن أقود بالسرعة المحدودة . » ونظر إلى القياس الذى يحدد السرعة . وتصادف مرور سيارة لورى .

وتساءلت : « من الذى يقود تلك السيارة اللورى ؟ »

قال : « أنت »

قالت : « إخرس ! »

تنهد وقال : « نعم ، يا سيدتى » .

بعدما تخطت آشيل السيارة اللورى التى صارت خلفها بمسافة قالت :

« التحدث عن ليف . إننا لن ننضم إلى قوات الجيش » .

قال : « الشاب من الواضح أنه يود أن تكونى سنيورا هارالدسن » .

قالت : « ربما ، ولكنى لم أفعل ذلك . لقد أعطيتك إنطباعا خاطئا بشأن علاقتنا . إنها إتسمت بصبغة الأعمال التجارية المحضة ، وستبقى هكذا » .

قال : « هكذا ، ألم يكن هناك رجل فى حياتك ؟ » .

قالت : « لا . حيث أننى لدى طفل صغير ، فكثير من الرجال لا يريدون التورط . والعلاقات لا أهتم بها . ولم تحدث أبدا . ولكن الحب بالنسبة لى فهو أمر جاد . وهكذا الزواج أيضا . وأنا لا أشعر بالارتياح لمشهدنا ونحن واقفان اليمين الذى لا ينوى أى منا الحفاظ عليه . فهذه ليست أمانه . وهذا استهزاء بالحفل ، واستهزاء بالموقف كله » .

قال : « هل تنوهين إلى أن ابننا يظل ابن زنا ؟ »

تنهدت آشيل . لم تعرف فى الحقيقة ما تنوه به .

وقالت : « هل هذا الشىء هو سيىء ؟ »

قال : « ربما الناس الآخرون لا يهتمون ما إذا كان توماس ابن شرعى أم لا ، ولكننى مهتم لأن يكون إبنا شرعيا . ولو كان توماس يستطيع التعبير عن رأيه لم يكن لدى أى شك فى أنه يقول هذا أيضا ـ ولكان اهتمامه عميقا . ربما لا يهمك الأمر كثيرا . . » .

قالت محتجة : هذا الأمر لا يهم ، لكن ـ لو أننا تزوجنا ـ »

فيتور : « سوف نتزوج »

آشيل : « وعندما نتطلق ، أنا ممتنه لأعرف أنك سوف تتحمل نفقات تربية توماس ، ولكننى لا أريد مالا لأجل نفسى . »

فيتور : « ولا حتى مكافأة شكرا على تعاونك وتعويضك عن أية معاناة ؟ »

آشيل : « لا » شكرا.

قال : « ولندع الأمر الآن »

تساءلت : « وماذا عن ترتيبات النوم فى منزل والدتك ؟ »

قال : « ترتيبات النوم ؟ و

قالت : « لم تحدد لنا أن نتشارك فى حجرة ؟ إن سكوتى تجاه توماس يعنى أنك الآن تعتبرنى آثار ضغط ، وليس هذا بالضرورى ليعنى أنك لم تعد »

قال : « الشهوة فى إثر جسدك ؟ »

قالت : « لا » واحمرت وجنتاها .

قال : « إننا من المفروض رجل وزوجه المرتقبين ، ومارجريدا لديها انطباع بأننا نحب بعضنا البعض بجنون . »

آشيل : « نحب بعضنا البعض بجنون ؟ »

فيتور : « راقبى الطريق جيدا . »

آشيل : « بماذا أخبرت والدتك ؟ »

فيتور : « أن كانت بيننا علاقة قصيرة لكنها قوية وعندما التقينا ثانية أدركنا أننا لا زلنا نشعر بنفس الشعور ، وأنك كشفت عن توماس أنه إبنى . ، ثم مال فيتور إلى الأمام وسألها :

« هل تحبين بعض الشيكولاته ؟ »

قالت : « من فضلك . »

ثم قطع الشيكولاته إلى قطع متساوية وقال لها : « افتحى فمك » ثم وضع

قطعة الشكولاته فى فمها ، وأضاف : « لذلك من المتوقع أن أمثل أننى غارق فى حبك . ومارجريدا ستظن أن الأمر غريب إن لم أفعل ذلك . ولابد أن نظهر أننا على وفاق . »

آشلى : « أستطيع أن أكون على وفاق ولكننى لن أنام فى نفس السرير معك! » .

فيتور : « أخبرت والدتى بأن توماس حيث أنه فى مكان غريب عليه ربما يستيقظ ليلا وفكرت فى أنه من الأفضل أن ينام معك فى الحجرة . وستكونان معا فى حجرة الضيوف وأنا سأكون فى حجرة نومى المعتادة . »

آشيل : « آسفة . »

وعرض عليها القيام بعمل ديكورات المنزل من ستائر وخلافه . تنهدت آشيل وقالت :

« أود أن يكون هناك وقت لأفكر فى الأمر ولكننى مهتمه بذلك . هل هذا هو البيت الكبير الذى سيكون بيت العرض ؟ و

قال : « لا . وسنتركه لملاكه ليفعلوا به ما يحلوا لهم . »

أخذ فيتور بين الحين والحين يطعمها بقطع الشيكولاته فى فمها ، ثم فكرت فى كيفية قضاء عطلة الأسبوع ؟ يجب أن تقضيه وهى تتذكر أنها إمرأة ذكية قادرة لديها القوة وضبط النفس ـ وأن اليومين لن يدوما إلى الأبد .

آشيل : « لا مزيد من الشيكولاته ، شكرا . لقد وثقت بى لأن أقود السيارة » .

قال : « كنت أقاوم النوم من قبل » . وابتسم ثم أغلق عينيه . نام فيتور حوالى ساعة وتوماس كذلك ، ولكنها استيقظا عندما اقتربوا من ضواحى لشبونه . وقد استيقظ فى الوقت المناسب حيث أن آشيل الآن تحتاج إلى من يوجهها إلى الاتجاهات الصحيحة .

قالت : « لست سعيدة بأن نتزوج . وأنا . . » وبدأت تظهر تلال سنترا .

قال : « إننا تقريبا وصلنا » .

قالت : « إنك لا تنصت لى » .

قال : « لست بحاجة لأن أنصت لك ، لأن كل ما تقولينه قد قلتيه من قبل . »

قالت : « ولو »

فيتور : « دعينا نقضى نهاية الأسبوع وبعدها سنناقش الأشياء بالتفاصيل »

ثم أشار فيتور وقال : « إتجهى إلى هناك . »

ثم أوقفت آشيل السيارة أمام فيلا مبنيه من الحجر . ثم وضع فى إصبعها الثالث خاتما من التوباز مطعم بالماس وقال :

وهذا يناسبك جدا ، وآمل فى ذلك » .

قالت : « نعم ، إنه جميل جدا ، ولكن ما هذا » .

قال : « خاتم الخطوبة »

قالت : « فيتور ، لا أستطيع »

قال : « هذا سيجعل والدتى سعيدة . هاهى قادمة . » وانفتح الباب الأمامى وخرجت مارجريدا لتحييهم .

عندما عادت آشيل إلى حجرة الجلوس سألتها مارجريدا : « هل نام توماس باستقرا ر وسعادة ؟ »

قالت آشيل : « إنه نائم فعلا »

إبتسمت الجدة وأخذت تتحدث عن السهولة التى بها قبلها الولد الصغير وكانت قلقة مما لو كان خجلا منها وابتعد عنها ، لكنه إتجه إليها مباشرة . وقالت : إن توماس طفل عاطفى مثل فيتور .

آشيل : « أين فيتور ؟ »

مارجريدا : « ولدى مشكلة برشاشات الزجاج الأمامى لسيارتى ، لذلك فهو فى الجراج يلقى عليهم نظره . اليوم هو أحد أسعد أيام حياتى . وعندما تتزوجان سيكون . . . . » .

آشيل : « لم نحدد التاريخ بعد »

مارجريدا : « لا » ولكننى أعرف أن إبنى غير صابر لأن يتزوج حبه الحقيقى وهذا الأمر لن يتأخر . » التقطت آشيل مجلة وقالت : « حبه الحقيقى؟»

وقالت الجده : « عندما تركت والدتى له التوباز ، أقسم فيتور أنه سيدخره حتى يقابل توأمه الروحى . » وابتسمت وأضافت :« ولكن عندما أتيت إلى الغذاء عرفت أنك توأمه الروحى لأن بينكما صلة روحية . »

آشيل : « إن بعضنا البعض تحدث بالكاد . »

ما رجريدا : « آهـ ، من يحتاج إلى كلمات ؟ إن طريقة نظرتك إليه وكيفية حملقته فيك أخبرانا بأن هذا كان حبا من أول نظرة . » وتنهدت الجدة وأضافت : « هذا هو ما حدث مع زوجى ومعى . تقابلنا ، ووقعنا فى الحب فى وقت قصير وظللنا نحب بعضنا البعض لمدة ثلاثين سنة حتى توفاه الله . » وصمتت تسترجع ذكرياتها ، ولكن الباب عندما انفتح نظرت وقالت : « آهـ ، فيتور ، هل عرفت المشكلة فى السيارة ؟ » واتجه إلى آشيل وهو يقول : « حددتها وأصلحت العطب . » ثم سألها : « هل إبننا مسرور ؟ » ظلت عينا آشيل مثبتتين على المجلة وقالت : « إبننا بخير » وحيث أن توماس نائم بجوارها فى وقت متأخر من الليل إستدارت . ربما يكون الولد الصغير راضيا وإنما هى فليست راضية . كانت مارجريدا محقة فى شىء واحد وهو الحب من أول نظرة ، فقد أحبت فيتور من اللحظة الأولى للقائهما ، ولماذا نامت معه برغبتها وبحماقتها ؟ لقد عرفت أن فيتور داركوس هو حبها الحقيقى . ولكمت آشيل وسادتها ثانية فهى تعيش الآن خلال محنه . هذه المحنه يمكن أن تزداد لو دخلت زواجه العملى الذى تم ترتيبه دون شعور .

***

الفصل الثامن

لو لمسها فيتور ثانية فلسوف تصرخ . إنه حباها بقبلة على مائدة طعام الإفطار خلال الصباح وعلى مائدة الغذاء غطى يدها بيده وحملق فى عينيها وناداها بحبيبتى ، لقد قام بدور الخطيب الولهان باتقان . لقد تم خداع أمه بالمظاهر تماما ، لدرجة أن آشيل نفسها قد انخدعت ، وفكرت فى هذا بيأس . نظرت إلى الحديقة حيث فيتور يرفس الكرة إلى توماس . وقد شعرت كما لو أنها سجينة فى زنزانة وفكرت فيما سيعذبها المرة التالية . سيغادروا سنترا بعد ظهر غد فى وقت مبكر ، ولكنها لا تظن أنها ستتحمل يوما آخرا من قبلاته ولمساته . لم تظن أنه بإمكانها تحمل ساعة أخرى ، دقيقة أخرى أو ثانية أخرى .

أفلح توماس فى رفس الكرة عاليا ، وعينا آشيل تتابعان فيتور وهو يقفز فى الهواء ليمسك بها . رجلاه طويلتان رياضيتان وعودة صلب ، وشعر ذراعيه يلمع فى الشمس مثل المعدن الداكن . ربما كان فيتور متعبًا أمس ولكنه بعد نوم هادىء إمتلأ حيوية وعافية . لولا أنه لم يأسو قلبها ، ولو لم تكن قد أحبته ، أخذت تفكر وهى تلف الخاتم فى أصبعها وقالت لنفسها إذا أردت شيئا من هذا العالم فلابد أن تكون إيجابية . بدلا من أن تكتم العاطفة المتزايدة داخلها فربما يتوجب عليها أن توافق على أن تكون عروسة فيتور وتحاول أن تستأثر بقلبه ؟ .

عموما ، ليست هناك إمرأة أخرى على المسرح يشتهيها فيتور بالفعل .

ضحكت آشيل فى أعماقها . إحساس فيتور بالظلم فى شأن توماس يعنى أنه يعتبرها مراوغة وغير جديرة بالثقة وشريره . الاستمرار فى هدوءها لم يكن بخطأ فى الحكم فقط وإنما سمم أى فرصة ربما أتيحت لهما للدخول فى علاقة جديرة بالإهتمام .

مارجريدا : « هذه صديقتى إستيل » ، وكانت مارجريدا خارجة من حجرة الجلوس حيث كانت ترد على الهاتف . وأضافت : « لقد رتبنا حضورها للزيارة عندما كنت وفيتور هنا ولكنها لسوء الحظ القوى كعب قدمها وهى ملازمة المنزل . هل يمكنك زيارتها معى ؟ لقد قدمتنى استيل إلى أحفادها الستة وأودها أن ترى توماس » .

شعرت أشيلى أن هذا فيه توسيع للخداع الذى هى وفيتور متورطان فيه . إنه فيتور بالدرجة الأولى المتورط فى الخداع . وكلما زاد عدد المخدوعين كلما زاد شعورها بأنها شريرة .

عندما أحست الجدة بأن آشيلى مترددة قالت :

« إن لم تكونى متحمسة لذلك فإنه يمكننى أن آخذ توماس معى . أنا متأكده من أنه سيكون سعيدا بأن يأتى معى . هذا سيعطيك وفيتور بعض الوقت للإنفراد ببعض» ولمعت عينا الجدة .

وسمع فيتور وهو فى الحديقة مع توماس مادا بين والدته وآشيلى حيث قال :

« إنها تبدو فكرة جيدة » ونظر إلى آشلى قائلا : « أليس كذلك ؟ »

ابتسمت آشيلى ابتسامة مشرقة . إن غياب مارجريدا سيمكنها من أن تخبره بأنها ترغب فى إنهاء التظاهر . . ولمسانه لها .

فقالت آشيلى : « إنها فكرة هائلة » .

مارجريدا : « أليس هذا رائعا ؟ » موجهة سؤالها لفيتور . وبعد ربع ساعة كان توماس فى مقعده الخاص ، وهو مخصص للأطفال ، بالسيارة ، وقالت له الجدة : « سوف تذهب لرؤية أفضل صديقات جدتك »

فيتور : « أثق فى أن إستيل ستتأثر . »

ضحكت والدته وهى تقوم بتشغيل السيارة وقالت : « إنها ستكون فى حال أفضل . لقد انتظرت طويلا حتى استطيع القيام بهذا الأمر . » ثم انطلقت بالسيارة . وضع فيتور ذراعه حول كتفى آشيلى وقال :

« إن حديث إستيل جاد وأظن أنهما سيستغرقان على الأقل ساعتين فى ذلك . »

آشيلى : « جيد . »

فيتور : « هل تعنين أنك تريدين أن نكون بمفردنا بقدر ما أريد ذلك ؟ »

آشيلى « إن ما أريده هو أن نتحدث طويلا وبصورة جادة والآن . »

فيتور : « ظننت أننا سنتحدث بعد عطلة نهاية الأسبوع هذه . »

آشيلى : « هناك تغيير فى الخطة ت . أشكرك »

فيتور : « تشكريننى ؟ وماذا فعلت لأجل ذلك الشكر ؟ »

آشيلى : أولا وفى البداية ، كان يجب أن تكون ممثلا ، لكنك أخطأت فى مهنتك . وإننى لا أحب الطريقة التى تتظاهر بها بأنك مغرم بى ، أخبرته وعيناها تلمعان ، وأضافت : « لا أحب الطريقة التى نخدع بها والدتك . إنى أكره ذلك » .

فيتور : « على رسلك »

آشيلى : « أتركنى وحدى . لا تستغل الحقيقة وهى أنك تعرف أنى سريعة التأثر بك . إنك تدفع والدتك إلى الاعتقاد بأننا على وشك البدء فى زواج سعيد وطويل ، وأنت تفعل هذا باستغلالى . لكن آمال والدتك فى وقت قصير جدا ستتبدد ويعتريها الحزن . وبالنسبة لى ، وشعرت آشيلى بالدموع فى عينيها . وكان آخر شىء تتطيعه هو أن تبكى ، ولكنها لو بدأته فربما لا تتوقف وأضافت :

« وأنا أعرف أن حالة توماس الشرعية هى أمر هام بالنسبة لك وهى لى كذلك فأنا أوده أن يحمل إسمه الصحيح . وأحبه أن يكون قادرا على أن يقول إنه من أى أسرة ينحدر ، وأوده أن يرفع رأسه عاليا فى أى صحبه ، ولكننى لن أقفز إلى خدعة الزواج ، ولا حتى لمدة خمس دقائق . لا أستطيع . ، وخلعت الخاتم من إصبعها وأعطته له ، وقالت : « إرتداء هذا الخاتم يعذبنى أيضا . »

فيتور : « كفى عن هذا » .

آشيلى : « ماذا هناك لأحتفظ بالخاتم ؟ منذ سنتين ، ممارستنا الجنس لا تعنى أى شىء لك والزواج الآن يعنى كل شىء » .

فيتور : « ممارسة الجنس إياها تعنى شيئا . وإذا اسعفتنى ذاكرتى بصورة صحيحة فإنه أنت التى أعلنت أن لا نتيجة له واحمه من الذاكره » .

آشيل : « بعدما أخبرتنى بأنك لا تستطيع التورط . هذه حقيقة واضحة . وإننى على وعى تام بأن « لا » أستطيع لا يمكن استبدالها « بلن » استطيع »

فيتور : « لذلك قلت أن أنسى الأمر لأنه أمر ذات ما . . ، وأضاف : أمر إهتممت به ، وهو مما رستنا الجنس . لقد اهتممت بك منذ أن تقابلنا فى فبراير الماضى ، عرفت أنك خاصة بى فقط . »

آشيل : « ولماذا جعلتنى أعتبر أنك أعطيتنى خط عدم التورط ؟ »

فيتور : « بسبب المسابقة التى حان وقتها . »

آيشل : « وما الفرق فى ذلك ؟ »

فيتور : « كل الفرق . »

آشيل : « لا أفهم . ربما كنت مخلصا للسباق ، ولكننى أيضا كنت مرتبطة بعمل . لم يكن لدى الوقت ، ولم أتوقع أن أكون رومانسية . عرفت أنك ملتزم ولم أكن أنوى أن أقطع إلتزامك ذلك . »

تنهد فيتور وقال : « نعم ولكن ، إجلسى وسوف أشرح لك . »

وجلست آشيل فى الطرف الآخر من الأريكة

بدأ فيتور : « إنه بالنسبة لى ، حيث أننى مخلص فإن هذا يعنى أنى مخلص لموسم السباق الذى يستمر ثمانية شهور وكل مظهر من مظاهر حياتى يتوقف . ناهيك عن شركة البناء . ووالدتى تقوم بدعوة فريق ويلجنى على الغذاء كل عام لأن هذا هو السبيل فى جعلى آخذ يوم راحة . وكانت على حق . فكانت المسابقة لها الأولوية وإنى أحافظ على ذلك . ومن ثم كنت أتجنب أى شىء خارج المسابقة ربما يؤثر فى عواطفى أو يقلق أفكارى . ففى خلال تلك الثمانية شهور أريد ذهنا قادرًا على بالتركيز . وهذا ما تعجب به الصحافة » .

آشيل : « كيف كانت كليست ملائمة لكل هذا ؟ ألم تؤثر على عواطفك ؟ ألم تزعج أفكارك من وقت لآخر ؟ »

فيتور : « إن السبب فى أن علاقتنا عمرت لمدة هو أنها لم يكن لديها أى تأثير على مشاعرى أو أفكارى . عشنا معا ، نمنا معا ، لكنها لم تتدخل فى شىء ولم أسمح لها بذلك . »

قالت : « لابد وأن كليست أدركت أنها لم تكن هامة بالنسبة لك . »

قال : « بالتأكيد ، ولكنها وافقت على هذا . عموما ، لم أكن هاما بالنسبة لها على المستوى العاطفى العميق . ولكنك تدخلت ، ولا أستطيع إيقافك ولم أستطع إبعادك عنى ذهنى . عرفت أنك لم تكون ذلك النوع من النساء الذى من السهل إهماله مثلما أهملت كليست . وكنت دائما أفكر فيك . »

قالت : « نعم . »

قال : « أكثر من هذا ، عندما لم تقبلى دعوة سايمون للمسابقات العديدة لتشاهدينها ، كنت مستريحا جدا . وعندما أخبرنى بأنك ستحضرى إلى لشبونه كنت أنا الحاقد ، وليس كما أخبرتنى بأن سايمون حاقد . وإن الحقد مؤلم . » وأضاف : عندما اكتشفت أنك مصاحبه له إلى حفل غذاء ماربجريدا قررت أن اتجنبك ».

قالت : « وأديت ذلك التجنب بنجاح حتى أجبرتك والدتك على أن تأخذنى إلى فندقى . »

قال : « ربما فعلت هذا لغرض . »

جحظت عينا آشيل : « هل تظن ذلك ؟ لكنها اعتقدت أن سايمون صديقى . »

قال : « نعم ، وأخبرتنى بأنها لا تظن أنه مناسب لك أو أن كليست مناسبة لى . ومالت إليك على الفور وكانت تتوق لأن أستقر ، وذلك منذ سنوات . »

وأضاف : تلك اللحظة لم أرد أن أنخرط فى موضوع سايمون كليست ، ولا أصبح منخرطاً معك . لقد كذبت . لقد أراد قلبى وجسدى أن ينخرطا معك ، ولكن ذهنى لا . ولذا قررت أن أؤجل ذلك لمدة ستة أسابيع حتى نهاية الموسم . »

آشيل : « لم يتبادر لذهنى أن تتحدث عن التأجيل » .

قال : « لا أفترض هذا . ولماذا أتحدث عن التأجيل ؟ أنت لا تعرفين شيئا عنى ، عن طريقة تفكيرى . »

آشيل : « ولكنك تفكر فينا تفكيرا ساميا » .

فيتورم : ويجب أن أعترف بأننى لم أكن واقعيا . وقررت أنه من الأفضل أن أشرح الأمر وكنت على وشك الحديث حديثا مرتبا عندما أعلنت أن وقت بعد الظهر ليس بصفقه ضخمة !»

آشيلى : « إلى أى مدى قررت أننى مسببة للمتاعب ».

فيتور : « لا ! لم أقرر ذلك ».

آشيلى : « ألم تقرر ذلك ؟ »

فيتور : « أبدا . إنى احترمتك ».

آشيلى : « وفيما فكرت عندما ألقيت بيانى ؟ »

فيتور : « فوجئت فى البداية ».

أشيلى : « وما شعورك تجاه كليست ؟ »

فيتور : « عندما قبلتك عرفت أن العلاقة معها قد انتهت . »

آشيلى : « لذلك أخبرت كليست بأن العلاقة إنتهت ، بصرف النظر عما قلته ؟ »

فيتور : « شعرت بأننى لا يمكننى مشاركتها السرير بعد ذلك . لأننى فكرت فيك آلاف المرات وأكثر . .

وإنه مع مرور الوقت عرفت أنه يجب أن أعمل شيئا . فقررت أنه بمجرد إنتهاء السباق النهائى أن أتصل بك واقترح لقاءنا ».

آشيلى : « وماذا كان فى ذهنك ؟ »

فيتور : « إتصال جاد ».

آشيلى : « حتى ولو كنت تظن أننى مغرمه بسايمون ، واعتقادك بأننى تضايقت من خداعه ؟ »

هز فيتور رأسه وقال : ولم أجد صعوبة فى إقناع نفسى بأنك كنت راغبة فى الاتصال . وبررت ذلك بأن سايمون كان صغيرا جدا ليرتبط بك وأن آخذك منه أكون بذلك أسديت له معروفا . »

آشيلى : « ولكنك قبل أن تقوم بالاتصال تدخل سايمون بأكاذيبه ».

فيتور : « تدخل بالانتقام ! عندما أخبرنى أنك حامل منه وكأنه ألقى بقنبلة يدوية مزقتننى . شعرت بأننى قد خدعت ، وأصبحت محطماً » .

وصمتا الإثنان لمدة دقيقة أو دقيقتين يفكران .

وأضاف : « كان غضبى آنذاك لموته لم يكن بسبب اعتقادى أنك بددت تركيزه ، وإنما الأمر أكثر تعقيدًا من ذلك . بعض ذلك يرجع إلى الوراء . أردت أن أجعلك تعانين مثلما أعانى عندما قال سايمون أنه على وشك أن يكون أبا وسيتزوجك . »

آشيلى : « وأنت الذى غامرت بحياتك فى محاولة لانقاذه ».

قال : « وكان على أن أخرج الفتى من السيارة لو استطعت » .

آشيلى : ولو كان الموقف هذا حدث لك فإنى أشك فى أن سايمون يكون كريما هكذا » .

فيتور : « ربما لا . علاوة على ذلك ، أدركت أننى لم أذهب إلى أى مكان إلاّ وأفكر فيك ولذلك غمست نفسى فى شركة البناء . لا أعنى أننى كنت متوترا وإنما إحتجت للعمل لمدة ست عشرة ساعة يوميا لأن ذلك بدا الطريق الوحيد الذى أنجح فيه . ولو أننى لم أفلح فى هذا تماما » .

آشيلى : « وهل كنت تلقى باللوم حتى عندما تقابلنا ـ تقابلنا ثانية ؟ »

فيتور : « ورغم ما شعرت به من ثورة وقتما مات سايمون وجدت نفسى أتساءل عما إذا كانت هناك فرصة من جديد . وإننى بمجرد أن شاهدتك عرفت إننى غير متحامل عليك ، ولكننى لم أكن متأكدا من مشاعرك ؟ وبدا أنك متحمسة للتخلص منى . ولكنه بعد يوم قضينا وقتا جميلا ، وبدأ الأمر أن الفرصة أمامه مازالت سانحة . وقررت أنه بمجرد أن يدخل توماس سريره أخبرك بأننى أحبك وأسألك هل يمكننا أن نبدأ من جديد ، ولكن . . » .

آشيلى : « ولكنك اكتشفت أننى أخفى لمدة سنتين معرفتك بأن لك إبنا منك . وتخبرنى أن أى حب تكنه لى قد انتهى ، لست مندهشة ، وبدأت الدموع تنهمر من عينيها على خديها . أضافت :

« أعرف أن الوقت قد فات الآن ، ولا فرق الآن . ولكننى عندما شاهدتك ثانية عرفت أننى أحبك جدا . عرفت أننى أحببتك منذ لحظة اللقاء الأول ، ولم أتوقف عن حبك ».

تقدم إليها فيتور متأثرا من دموعها وقال : « وهو كذلك »

قالت : « آسفة »

قال : « إننا نحب بعضنا البعض . أعرف أن أمر الرجل والمرأة ليس بالأمر السهل ولكننى أتساءل كيف أن اثنين يهتمان ببعضهما البعض كثيرا جدا يفلحان فى قضاء وقت طويل يحارب بعضهما البعض . »

آشيلى : « هل تعنى أنه بإمكانك أن تسامحنى لعدم إخبارك بموضوع توماس؟ »

فيتور : « لقد سامحتك . أدركت أنك تبذل مجهودا لحمايته وإبعاد الضرر عنه . . أعرف أن الخوف هو الذى عاد بك ثانية . لست مندهشا . لقد أعترانى الخوف أيضا . »

آشيلى : « لكنك افتقدت خمسة عشر شهرا من حياة توماس » .

فيتور : « ولكننى متأكد من شىء واحد ، وهو عدم افتقادى لك . ولن أفتقدك ثانية . وهذه العطلة لنهاية الأسبوع لم أكن أتظاهر بأننى أحبك . ولو جعلتك تدركين ما قوة ما أشعر به نحوك ربما تقررين بأنك تشعرين بنفس القوة» .

وسيطر عليها إحساس بالسعادة الغامرة .

آشيلى : « وأنا كذلك . »

وقبلها فيتور بعمق ، ثم أخرج الخاتم من جيبه وقال : « ألا تضعى ذلك الخاتم فى إصبعك ثانية ؟»

ونظر إليها دون ابتسامة أو تقطيبة .

ثم سألها :

« هل ستتزوجينى ؟ »

آشيلى : « عندما تتقدم لخطبتى ، أليس من المفروض أن تنزل على ركبتيك وأنت تطلب يدى ؟ »

فيتور : « وأتوسل ؟ ولكن سيدتى لو أصرت »

آشيلى : « لن أصر على ذلك . » وأوقفته من خلال ضحكها .

فيتور : « أتتزوجينى ؟ »

نظرت آشيلى إلى عينيه البنيتين الفاقع لونهما ، نظرت إلى الرجل الذى تعبده وقالت ببساطة : « نعم » .

فيتور : « بأسرع ما يمكن ؟ » ووضع الخاتم ثانية فى إصبها .

آشيلى : « بمجرد أن يتم الترتيب لذلك » .

ثم قبلها ثانية . وقال : « ويجب أن نقدم لتوماس شقيقا أو شقيقة . »

آشيلى : « إن إعجاب وسرور إستيل بتوماس جعل والدتك سعيدة جدا » .

فيتور : « ان تحديد موعد زواجنا سيجعلها سعيدة جدا أيضا » .

آشيلى : « وهذا جعل والداى وشقيقى مسرورين » .

فيتور : « إن الأمر الثانى هو تحديد المكان الذى سنعيش فيه » .

آشيلى : « أنا سعيدة للانتقال إلى لشبونة . ؟أحب الغرب ، ولكن . . »

فيتور : « ليكن هذا . إن كلاهما يناسبنى . وإذا عشنا فى الغرب فإنه يمكنك الاستمرار فى عملك . إذا أردت ذلك » .

آشيلى : « سأقوم بالعمل حتى يأتى الطفل الثانى . » وسألها فيتور : «مارأيك لو انتقلنا إلى الفيلا الكبيرة التى جارى البناء فيها فى برايادو كارفيرو؟ . .

ستكون جاهزة فى شهرين ، ونستطيع أن نعيش فى منزلك حتى إتمامها » .

آشيلى : « ونأخذ حماما على ضوء الشموع ؟ »

فيتور : « كل ليلة . وبدلا من أن تبيع المكاتب التى فى القرية ، يمكنك استخدامها كورشة واستوديو . »

هزت آشيلى رأسها بالموافقة وقالت : « هذا أمر مثالى . لقد قلت أنك ستخرجنى من منزلى ، وها قد أفلحت فى هذا . »

فيتور : « فى مقابل أن أتزوجك . وسوف أزرع شجرتى ليمون فى الحديقة . وذلك فى حالة شعورك بالحنين إلى الوطن . »

آشيلى : « لن أشعر بذلك وأنت تمسكنى بين ذراعيك » .

فيتو : « سوف أمسكك بذراعى للأبد باحبيبتى . » وابتسم ، مؤكد اعل ذلك .

***